

روايات مصرية للجيب
زهور
90
سأنتظرك دائمًا
الجزء الأول
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبَ .. الحبَ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوَاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ من أجلك ..

انتهت مراسم العزاء .. وجلس (عماد) وحيدًا ومنزويًا فى أحد أركان السرادق الكبير ، الذى أقيم لاستقبال المعزين فى وفاة والده .

لم يكن حزنه على أبيه وحده هو الذى يشغل تفكيره فى هذه اللحظات ، بل كان التفكير فى مستقبله ومصيره بعد وفاة الأب يشغل جزءًا من عقله أيضًا .

لقد أسهم الأب بكدّه وعرقه طوال السنوات الماضية ، فى توفير احتياجاته ومتطلباته الضرورية .. خاصة الإنفاق على تعليمه ودراسته بالجامعة .

أما الآن ـ وبعد وفاة الأب ـ فمن الذى سيوفر له هذه النفقات ويلبى له احتياجاته ؟

وجاء الجد ليجلس بجواره وهو ينظر إليه بعين العطف قائلاً :

ـ لقد انتهى العزاء يا بنى .

قال (عماد) بصوت خافت وهو يحدق فى الفضاء الممتد أمامه :

ـ أعلم ذلك يا جدى .

ـ إذن فلا جدوى من الجلوس هكذا .. هيا بنا لنعود إلى المنزل .

ـ أريد أن أبقى قليلاً هنا .

ـ بل من الأفضل أن تعود معى إلى المنزل .. هيا بنا .

سار (عماد) بجوار جده الذى التفت إليه قائلاً :

ـ أعرف أن الوقت قد لايكون مناسبًا .. ولكن أريد أن أعرف .. هل فكرت فيما سيتعين عليك فعله فى المستقبل ؟

ـ هذا ما يشغل تفكيرى بالفعل .

ـ وماذا قررت ؟

ـ أريد أن أواصل دراستى فى الجامعة .

ـ إذن .. فأنت تفكر فى العودة إلى القاهرة .

ـ نعم .

صمت الجد برهة دون أن يعقب بشىء .. ثم ما لبث أن التفت إليه قائلاً :

ـ لقد حلمنا كثيرًا أنا وأبوك بمستقبل لامع لك .. لقد كان أبوك فخورًا دائمًا بك ، ويتنبأ لك بمكانة مرموقة .

كان يقول : إن ابنى سيعوضنى عن الحرمان من الدراسة ، وعن الأمل الذى لم يمكنه أن يحققه فى شبابه ، وهو استكمال تعليمه ليصبح طبيبًا .. لقد تزوج مبكرًا وعانت أمك كثيرًا من المرض .. وكان عليه أن يختار بين مسئولية الزواج .. والعناية بأمك رحمها الله .. وبين تحقيق أمانيه بالنسبة للتعليم والمستقبل .

واختار أن يعمل معى فى ورشة النجارة ، للإنفاق عليك وعلى والدتك ولتخفيف عبء العمل عنى بعد أن تقدمت فى السن .

لذا توقف عن الدراسة بعد المرحلة الثانوية ، وتولى مسئولية ورشة النجارة ، للإسهام فى نفقات تعليمك ، ولتعوض له حلمه الضائع وتمنحه المستقبل المرموق الذى تمناه دائمًا .

تنهد (عماد) قائلاً :

أعرف ذلك .. فقد كان يحدثنى بشأنه دائمًا .

- لكن الآن .. وبعد وفاة أبيك فإننى لن أستطيع أن أقدم لك المساعدة التى كان يقدمها لك .

لقد كان والدك مسئولاً عن الإنفاق على ثلاثة أشخاص هم أنا وهو وأنت وكان يعتمد فى ذلك على كده وعرقه وذراعه .

أما الآن وبعد وفاته .. فلا أعرف كيف سيمكننا تدبير الأمر ، فأنا ليس لى أبناء آخرون .. ومحل النجارة كما ترى لم يعد يحقق دخلاً كبيرًا ، حتى يمكننى تحمل أجر عامل يتولى مسئولية العمل بعد أبيك .. كما أننى رجل مسنٌ وعاجز كما ترى .

- لكننى لا أستطيع التخلى عن الدراسة .

- لكن الدراسة فى الجامعة والإقامة فى القاهرة تحتاجان لمصاريف .. وأنا لن أستطيع أن أوفرها لك كما كان يفعل أبوك فى حياته .

- إذن ما هو الحل ؟

- إننى أرى أن تأتى لتعيش معى هنا .. وأن تبدأ فى البحث عن عمل .

وأضيع حلمى وحلم أبى ؟

- للضرورة أحكام يا بنى :

قال (عماد) معترضًا بإصرار :

- لا يا جدى .. لا تطالبنى بشىء كهذا .. فهذا يشبه حكمًا بإعدامى .

- يمكنك أن تعمل وتنتسب إلى إحدى الكليات القريبة هنا فى (المنصورة) .

ـ إن الانتساب لايكون إلا بالنسبة للكليات التى تعتمد على الدراسة النظرية .. وأنا أدرس فى كلية العلوم .. وهى كلية تعتمد على الدراسة العملية .

ـ تستطيع أن تحول إلى إحدى الكليات النظرية .. فهذه هى الوسيلة الوحيدة للجمع بين الدراسة والعمل .. إذا كنت حريصًا على مواصلة دراستك .

ـ لكنى أعشق الدراسة فى هذه الكلية .. وقد اجتزت السنة الأولى بتقدير امتياز .. فكيف تطلب منى بهذه السهولة أن أسقط سنة من عمرى .. وأن أتخلى عن النجاح الذى حققته ، والدراسة التى أحببتها .

قال الجد وقد ارتسمت على وجهه بعض ملامح الانفعال :

ـ لاتظن أننى سعيد بهذا الأمر .. إننى مثلك ومثل أبيك كنت أتمنى لك الاستمرار فى كليتك ، ومواصلة النجاح الذى أحرزته .. لكن يجب أن تكون واقعيًا يا بنى .. لقد تغيرت الظروف ونحن فقراء .

ـ هناك حل آخر .

ـ وما هو ؟

ـ لماذا لا تبيع محل النجارة ؟

ـ أتظن أننى لم أفكر فى هذا الأمر ؟ لكن الورشة مدينة بثلاثة آلاف جنيه .. وهى كما ترى مجرد ورشة صغيرة .. ولا تتوافر بها الإمكانيات الحديثة التى تتوافر للمحلات الأخرى .

لقد كانت تعمل اعتمادًا على سمعة أبيك ومهارته أما الآن وبعد وفاته .. فهى لاتساوى شيئًا .

وحتى لو بعتها وحصلت من وراء هذا البيع على مبلغ مناسب .. فهل سيكفى هذا المبلغ لإطعامنا ولمصاريف دراستك ؟ وماذا بعد أن ينتهى هذا المبلغ ؟ وكم شهرًا وكم عامًا فى تقديرك سيكفى لإعاشتنا ؟

ـ إذن .. ماذا تنوى أن تفعل بشأن الورشة ؟

أطلق الجد زفرة قصيرة قائلاً :

- لم أفكر فى شىء بعد .

- إذن فلنؤجل الأمر برمته لما بعد .

- كما تشاء .. ها نحن أولاء قد وصلنا إلى المنزل على أية حال ، وأظن أنك بحاجة لبعض الراحة .

نظر (عماد) إلى جده قائلاً :

- أنت أحوج إليها منى .

اغرورقت عينا الجد بالعبرات قائلاً :

- إننى بحاجة لقراءة بعض القرآن الآن ترحمًا على روح أبيك لذا سآوى إلى حجرتى وأتلو القرآن .

- أما أنا .. فلا أريد البقاء فى المنزل الآن .. أشعر بأننى سأختنق بالداخل .

- ولكن .. يا بنى ..

قاطعه (عماد) قائلاً :

- أرجوك يا جدى .. أريد أن أجول قليلاً .. إننى بحاجة للسير بمفردى .

قال الجد بإشفاق :

- فى هذا الوقت من الليل ؟

- لن أغيب طويلاً .. ساعة واحدة .. وسأعود بعدها إلى المنزل .

لم يكد عماد يخطو بضع خطوات قليلة بعد انصراف جده ، حتى سمع صوتًا هامسًا يناديه ..

التف وراءه ليرى فتاة متوسطة القامة .. ذات شعر أسود فاحم ينسدل فوق كتفيها بنعومة .. وبشرة بيضاء صافية .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- (ميرفت) !! ما الذى أتى بك إلى هنا فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟

اقتربت منه وعيناها تفيضان بالعطف والحنان تجاهه :

- لقد تعقبتك منذ أن غادرت السرادق أنت وجدك .

قال باستغراب :

- لماذا ؟

- أردت أن أطمئن عليك .

- تطمئنين علىّ .. فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ثم تطمئنين علىّ بأى شأن ؟

- بشأن حزنك على وفاة أبيك .

ازداد استغرابه لتصرفها .. قائلاً :

- لكنك قدمت لى العزاء الواجب هذا الصباح .

- أنت تعرف أن اهتمامى بك أكبر من مجرد تقديم تعزية .. لقد كنت فى حالة يرثى لها هذا الصباح .. ولم أستطع أن أمنع نفسى من القلق عليك وأنا أراك فى هذه الحالة ، كما لم أستطع أن أبقى ساكنة فى المنزل ، وأنا على هذه الحالة من القلق فجئت لأراقبك من بعيد وأنت جالس فى السرادق .. ثم وأنت تعود إلى منزلك مع جدك . وكنت فى طريقى للعودة إلى منزلى عندما رأيتك تنصرف بمفردك .. فناديتك .

نظر إليها بعينين تنطقان بالامتنان والعاطفة قائلاً :

- أتهتمين بى إلى هذا الحد ؟

- هل أنا بحاجة لأؤكد لك ذلك ؟

- لكن لم يكن يجدر بك أن تخرجى فى هذا الوقت المتأخر من الليل .. كما أن وقوفك معى وحديثك إلى فى هذا الوقت ، سيعرضك للقيل والقال .. وأنت تعرفين أننا فى بلدة ريفية صغيرة .

- إن نظرة الحزن التى رأيتها فى عينيك هذا الصباح ، جعلتنى لا أهتم بأى شىء آخر عدا الاطمئنان عليك ومشاركتك فى أحزانك .

- أما أنا فأهتم بك .. وأحرص على ألا يقال أى شىء يمّسك أو يسىء إليك .

- الكل هنا يعرف بأننا متحابان .. وأن حبنا طاهر وبرىء .. والكل يترقب اليوم الذى نتزوج فيه .

وتداركت ما قالته وهى تعتذر قائلة :

- آسفة .. إننى لم أنتبه إلى أن مثل هذه الكلمات يجب ألا تقال فى ظروف كهذه .

ـ على أية حال .. أنا بخير .. ويمكنك أن تطمئنى علىّ .

تطلعت إليه قائلة :

ـ عيناك لا تنبئان بذلك .

قال لها منفعلاً :

ـ ماذا تنتظرين منى ؟ لقد شاركت فى دفن أبى اليوم .. وانتهيت الآن فقط من تقبل العزاء فيه : فهل تريدين أن أبدو أمامك سعيدًا ؟

أطرقت برأسها قائلة :

ـ أنا آسفة .

بينما تدارك انفعالاته وهدأت نبرته ، وهو يتحدث إليها قائلاً :

ـ لا يا (ميرفت) .. أنا الذى يجب أن اعتذر لك عن انفعالى .. إننى أقدر مشاعرك النبيلة نحوى واهتمامك بى .

(ميرفت) .. أنا أستعد لمواجهة ظروف صعبة للغاية . ليس حزنى على وفاة أبى هو وحده الذى يشغل تفكيرى الآن .. بل هناك أشياء أخرى تكاد أن تعصف بأفكارى وحياتى بأسرها .

نظرت إليه بانزعاج قائلة :

ـ وما هى تلك الأشياء ؟

وضع يده على كتفها قائلاً :

ـ فيما بعد يا (ميرفت) .. سنتحادث فيما بعد .. عليك أن تعودى إلى المنزل أولاً .. ثم نتحدث فيما بعد .

ـ هل سنلتقى غدًا ؟

ـ نعم .

ـ فى المكان الذى اعتدنا أن نلتقى فيه ؟

ـ أتظنين أن هذا سيكون مناسبًا .. وفى مثل هذه الظروف ؟

ـ فقط أريد أن أعرف ما الذى يشغلك .. وأن تشركنى فى أفكارك ومتاعبك كما اعتدنا أن نفعل من قبل .

ـ حسن .. انتظرينى فى المكان الذى اعتدنا أن نلتقى فيه .. سآتى إليك فى الرابعة مساءً .

عادت (ميرفت) إلى منزلها .. وهى مشغولة التفكير فى (عماد) .. فى أحزانه وفى همومه التى ظلت تؤرقها دائمًا .

وارتدّت بها الذكرى إلى الوراء ، حينما تفتحت عيناها على رؤية (عماد) .

وتفتحت مشاعرها على حبه .

* * *



٢ ـ حب بلا أمل ..

نشأت (ميرفت) فى منزل متوسط الحال ببلدتها الصغيرة القريبة من مدينة (المنصورة) والتى يتميز أهلها بالطيبة والبساطة .

وتوفى والدها فى سن مبكرة .. حيث لم تكن قد جاوزت السادسة من عمرها عندما رحل عن الدنيا .. تاركًا وراءه ميراثًا بسيطًا استطاعت والدتها بوساطته الإنفاق عليها ومواجهة تكاليف المعيشة التى تحتاج إليها أم وطفلتها الصغيرة فأكملت تعليمها حتى أنهت مرحلة الدراسة الثانوية .

وبعدها توقفت عن إكمال الدراسة برغم تفوقها .. نظرًا لمرض الأم التى أصيبت بمرض أقعدها عن الحركة .. ولعدم كفاية الدخل الذى يدره إرث أبيها لتلبية مصاريف الدراسة الجامعية .

فقررت أن تبقى فى المنزل لمساعدة أمها ، وتقوم

على تدبير احتياجاتهما المعيشية بوساطة الدخل البسيط الذى يدره عليهما الإرث الذى خلفه الأب .

ومنذ الصغر وجدت نفسها شديدة التعلق بذلك الصبى الصغير الذى يسكن فى المنزل الذى يجاورهما .. والذى نشأ بدوره يتيمًا محرومًا من الأم التى توفيت بعد ولادته بعامين .

كان يكبرها بعامين .. واعتادا أن يلعبا ويمرحا معًا .. كما اعتادا أن ينتقل أحدهما إلى منزل الآخر لقضاء وقت طويل معه .. فجمعت بينهما براءة الطفولة وصداقة الصغر .

ثم لم تلبث أن تحولت إلى مشاعر عاطفية رقيقة ، عندما انتقلا إلى مرحلة الصبا .. فزاد تعلق كلٍّ منهما بالآخر .. كما تفتحت مشاعر كل منهما على حب الآخر .. فأصبحت العلاقة بينهما أكثر ارتباطًا وأكثر توثقًا .

وعندما سافر (عماد) إلى القاهرة لاستكمال دراسته الجامعية ، أحست (ميرفت) بأنه خلف وراءه فراغًا كبيرًا .. وأنه اصطحب معه جزءًا من نفسها بعد سفره إلى القاهرة .

كان عزاؤها الوحيد أن : السنوات التى سيضطران خلالها إلى الابتعاد عن بعضهما ، سيعقبها ارتباط حقيقى ورسمى بينهما .

وأن العهد الذى قطعه كل منهما على نفسه أمام الآخر بألا يقترن بسواه ، يقترب موعد تحقيقه مع مرور السنين .

لقد تمنت الزواج من (عماد) منذ أن أدركت معانى الحب الرائعة التى حركها فى نفسها .

فهو الشخص الوحيد الذى أحبته ، والذى تسلل إلى قلبها منذ الطفولة وشاركها مشاعر وأحلام الصبا .

وعندما تقسو الحياة عليها أحيانًا ، كانت تجد السلوى فى هذا الحب الكبير الذى يسكن قلبها .

وعندما تعترضها الصعاب كانت تجابهها بالأمل القريب والحلم الجميل ، حلم الاقتران بـ (عماد) والحياة معه تحت سقف منزل واحد .

* * *

وقفت (ميرفت) تنشر الغسيل فى الفناء المحيط بمنزلها ، عندما سمعت صوتًا يناديها قائلًا :

ـ صباح الخير يا (ميرفت) .

التفتت إليه وهى تهتف قائلة :

ـ (مصطفى) !

تقدم لمصافحتها قائلاً :

ـ كيف حالك يا (ميرفت) ؟

قالت له وقد علت وجهها ملامح البشاشة .

ـ أنا بخير .. كيف حالك أنت ؟ متى عدت من (الإسكندرية) ؟

ـ لقد وصلت إلى البلد توًا .. فها هى ذى الحقيبة فى يدى كما ترين ، فكرت فى أن أراك قبل أن أذهب إلى منزلنا .

ـ حمدًا لله على سلامتك .

ـ لقد علمت بنبأ وفاة عم (منصور) أمس فقط .. وهذا ما جعلنى آتى إلى البلد اليوم .

ـ نعم .. لقد توفى بعد معاناة مع المرض ـ رحمه الله ـ لابد أن وجودك سيخفف كثيرًا عن (عماد) .. فأنت صديق له منذ الطفولة .

ـ إنه فى منزل جده .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .. ويبدو حزينًا للغاية .

ـ سأترك حقيبة السفر فى المنزل .. ثم أذهب لتعزيته على الفور .

لقد أردت أن أطمئن عليك أولاً ..

وهم بالانصراف .. لكنها استوقفته قائلة :

ـ (مصطفى) .. أرجوك .. حاول أن تهوّن عليه أحزانه .

نظر إليها مليًا قائلاً :

ـ هل توصيننى بـ (عماد) ؟ إنه بمثابة أخ لى .. كونى مطمئنة ، ثم استدرك قائلاً :

ـ بالمناسبة .. كيف حال والدتك الآن ؟

ـ أفضل مما كانت عليه من قبل .

ـ سوف آتى لزيارتها والاطمئنان على صحتها غدًا .

انصرف (مصطفى) وهو يفكر فى (ميرفت) و(عماد) .. أصدقاء الطفولة .. كان (مصطفى) يكبر (عماد) بعام واحد .. تعارفا فى المدرسة ، ونشأت بينهما صداقة مبكرة .

كما كان شريكًا أساسيًا فى أوقات اللهو والمرح .. التى جمعت بينه وبين (عماد) و(ميرفت) فى سنوات الطفولة .

وعندما نضجت مشاعره ؛ وجد نفسه بدون أن يدرى يشارك صديقه حبه لـ (ميرفت) أيضًا .

لم يكن له يد فى هذا الحب الذى تسرب إلى مشاعره وأحاسيسه تدريجيًا ، فوجد نفسه أسيرًا له وواقعًا تحت سلطاته ، لكنه أدرك أن (ميرفت) تحب (عماد) .. وأنه يبادلها هذا الحب .. فطوى قلبه على عاطفته .. وأخفى حبه بين جوانحه ، بعد أن أدرك أنه لا أمل له فى هذا الحب .. وأنه لن يستطيع أن يبوح بهذه العاطفة فى يوم من الأيام ، وتمنى لهما السعادة والهناء .. دون أن تعرف مشاعره النبيلة أى قدر من الحقد أو الكراهية تجاههما .

فقد ظل يحب (ميرفت) كما أحب (عماد) .. معبرًا عن هذا الحب بصداقة عميقة استمرت تجاه (عماد) فى سن الشباب ، وصداقة مماثلة تخفى سر حبه تجاه (ميرفت) على النحو الذى كانا عليه فى طفولتهما .

وقد أكمل (مصطفى) دراسته بعد الثانوية العامة ، فى معهد فنى صناعى لمدة عامين .. ثم التحق بالعمل فى الترسانة البحرية فى (الإسكندرية) ، حيث كان يقيم هناك طوال الأسبوع ، ثم يأتى فى نهايته لزيارة بلدته ، وأحيانًا كان يكتفى بالعودة مرتين فى الشهر ، خاصة عندما فرقت الأيام بينه وبين (عماد) الذى رحل إلى القاهرة لاستكمال تعليمه الجامعى .

أصبحت أيامًا قليلة تلك التى يتاح له فيها الالتقاء بصديقه و(ميرفت) خلال الأشهر الطويلة التى تفرق بينهما .

وكان يرى أن فى هذا البعاد ما يخفف من معاناته بسبب هذا الحب المحروم .. وتلك المشاعر النبيلة التى يخفيها فى نفسه .

* * *

قال لصاحبه معزيًا :

ـ البقاء لله يا (عماد) .

قال (عماد) :

ـ أشكرك يا (مصطفى) .. هل جئت فى إجازة ؟

ـ بل جئت لتعزيتك عندما علمت بالخبر .

ـ كنت بحاجة لأن أراك .

ـ يؤسفنى أننى لم أشارك فى الجنازة .

ـ المهم أنك جئت .. فأنا بحاجة لصديق مثلك لكى يشاركنى الرأى الآن بعد أن أصبحت فى مفترق الطريق .

ـ وأنت تعرف أننى لن أضن عليك بالرأى المخلص .

ـ لقد أخبرنى جدى أننى لن أستطيع مواصلة الدراسة ، بعد أن تغيرت الظروف بوفاة أبى .

ـ وماذا قررت بهذا الشأن ؟

ـ لهذا أسألك .

ـ عليك أن تواصل دراستك مهما كانت الظروف .

ـ لكن مصاريف الإقامة والدراسة فى القاهرة تفوق مقدرة جدى .. خاصة أن محل النجارة ..

قاطعه (مصطفى) قائلاً :

ـ يمكنك أن تتولى مسئولية الإنفاق على نفسك .

ـ كيف ؟

ـ بأن تعمل وتدرس فى ذات الوقت .

ـ وأين هذا العمل ؟ هل تظن أننى أستطيع أن أحصل عليه بسهولة ؟ إن الذين تخرجوا فى الجامعة لا يجدون عملاً .. فهل تريد منى أن ..

قاطعه صديقه مرة أخرى قائلاً :

ـ لكن العمل موجود بالنسبة لك .. ولديك خبرة سابقة به .

نظر إليه (عماد) فى تساؤل قائلاً :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أقصد أن تعمل فى ورشة جدك .

قال (عماد) مستنكرًا :

ـ هل تريد منى أن أعمل فى النجارة ؟

- وما العيب فى ذلك ؟ إنها مهنة جدك وأبيك .. كما أنك شاركت أباك فى العمل بهذه الورشة من قبل .

- نعم .. لكن .. لقد كنت فى سن مبكرة وقتها .. أما الآن .

- هذا يعنى أن لك دراية سابقة بهذا العمل .. ولن تمارسه مثل أى مبتدئ .

- إننى لم أشارك أبى فى هذا العمل إلا على سبيل الهواية ، وفى فترات الإجازة الصيفية وأنا فى المرحلة الإعدادية وبداية الدراسة الثانوية .. لكنى لم أفكر قط فى امتهان هذا العمل .

- ولماذا لايكون ذلك على سبيل الاحتراف ولفترة من الوقت ؟ فأنا أعرف أنك لن تستمر فى هذه المهنة بالطبع .. لكنها يمكن أن توفر لك دخلاً ملائمًا يساعدك على تجاوز المشكلة واستكمال دراستك .

- أنت تنسى أننى فى كلية عملية .. وأنها فى القاهرة .

- يمكنك أن تحول أوراقك إلى جامعة المنصورة ..

وهى لا تبعد كثيرًا عن هنا .. نصف ساعة أو أربعين دقيقة فقط من البلدة ، كما أنك تستطيع أن تدرس نهارًا وتعمل ليلاً ، لامشكلة إذا ما تسلحت بالإرادة وبعزيمة قوية .

- إنك تهون من حجم المشكلة بطريقة غير عملية .

- لاتوجد مشكلة تستعصى على الحل .. مادمت مصرًا على إكمال تعليمك فى ظل الظروف الصعبة الحالية .. فعليك أن تواجهها بطريقة تتفق مع هذه الظروف .

إن التحاقك بجامعة المنصورة سيوفر تكاليف إقامتك فى القاهرة ، وسيجعلك تقيم مع جدك هنا لكى ترعاه بدلاً من المرحوم والدك .. كما أن عملك بورشة النجارة سيوفر لك المصاريف التى تحتاج إليها وسيخفف عن جدك عبء استئجار عامل .

أطرق (عماد) قليلاً قائلاً :

- سأفكر فيما قلته .. سيكون الأمر شاقًا بالنسبة لى .. لكن لا أعتقد أن هناك بديلاً آخر .. هيا بنا .

- إلى أين ؟

- سأذهب لمقابلة (ميرفت) .

ارتسمت ملامح الوجوم على وجه (مصطفى) لدى سماعه ذلك .. وتحدث إليه قائلاً :

- فى ظل هذه الظروف ؟

- ماذا دهاك يا (مصطفى) ؟ أتظن أننى فى طريقى للقاء عاطفى ؟ أنت تعرف أن علاقتى بـ (ميرفت) أكبر من ذلك .. إننى أريد أن استشيرها فى الأمر ، لقد كانت قلقة بشأنى أمس .. وقد وعدتها أن ألتقى بها اليوم .. سأعرض عليها ما قلته .. وأعتقد أنها ستؤيده .. فهى ترجح رأيك دائمًا .

قال (مصطفى) بجدية :

- (عماد) .. أرجو أن تكون أكثر حرصًا بشأن مقابلاتك مع (ميرفت) .. لاتنس أنها فتاة .. وأننا فى بلدة ريفية .. ولا أظن أنك تحب أن تلوث الألسنة سمعتها .

- أنا أكثر الناس حرصًا على سمعتها .. الكل يعرف أن علاقتنا طاهرة وشريفة .. وأننا شبه مخطوبين .

- نحن لا نعيش فى مجتمع من الملائكة .. والبعض يتحدث عنكما بالسوء بالفعل .. والمشكلة أن كثيرين يستمعون إليه .. بدءوا ينظرون إلى علاقتكما بطريقة أخرى .

قال (عماد) منفعلاً :

من هم هؤلاء الذين يتحدثون عنا بالسوء ؟ أخبرنى عنهم وأنا ....

قال (مصطفى) بهدوء :

- إننى لا أتحدث عن شخص معين .. كل ما أطلبه منك أن تقتصد فى لقاءاتك معها .. على الأقل حتى تتم

خطبتكما بشكل رسمى .. سيكون ذلك أفضل لـك ولها .. والآن هيا لتلحق بها .

- هل سنلتقى ليلاً ؟

- بالطبع .. فأنا سأسافر غدًا .. وأريـد أن أطمئن عليك قبل سفرى .

* * *



٣ - سأنتظرك دائمًا ..

انتظر (عماد) حتى انتهى جـده من الصلاة ، ثـم تحدث إليه قائلاً :

- لقد قررت أن أعمل فى محل النجارة .

نظر إليه الجد باستغراب قائلاً :

- والجامعة ؟

- سألتحق بجامعة المنصورة .. وأحاول أن أوفـق بين الدراسة فى الصباح والعمل مساءً .

ابتسم الجد قائلاً :

- لا أظن أنك قد اتخذت هذا القرار من نفسك .

- لقد فرضته علىّ الظروف .

- لكن من الذى أشار عليك بهذا الأمر .. (مصطفى) أم (ميرفت) ؟

- أيًا كان من أشار على بذلك .. فليس هناك بديل آخر .

- وهل ستستطيع حقًا أن توفق بين العمل والدراسة ؟

- سأبذل قصارى جهدى .

ارتسمت الابتسامة الطيبة مرة أخرى على وجه الجد ، وهو يضع يده على كتف حفيده قائلاً :

- لا أظن أنك ستستطيع ذلك يا بنى .. فسوف يكون فى ذلك مشقة كبيرة لك .

- إن ما يهمنى هو أن أواصل تعليمى .. فلدى طموح كبير أريد أن أحققه .

- ستواصل تعليمك .. وستحقق طموحك .. فهذا ما أراده لك أبوك ولابد أن تحققه له .. ولن تكون مضطرًا إلى العمل فى ورشة النجارة .

كيف ؟ ومن أين ندبر أمورنا ؟

- لا تشغل تفكيرك بهذا الأمر .. لقد طلب منى أحدهم أن يشاركنى فى محل النجارة مقابل مبلغ معقول كل شهر .. وأظن أننا نستطيع تدبير أمورنا بوساطة هذا المبلغ .

تهلل وجهه بالفرحة وهو ينظر إلى جده قائلاً :

- حقًا يا جدى ؟

- عد إلى القاهرة ولا تشغل نفسك إلا بدراستك فقط .. أريد أن تحافظ على تفوقك .. وأن تحصل على الشهادة من الكلية التى اخترتها دون أن تحمل هم المصاريف .

قبل (عماد) يد جده قائلاً :

- أشكرك يا جدى .. أشكرك كثيرًا .

قال الجد وهو ينظر إلىّ حفيده بعينين تتدفقان عاطفة :

- لكن .. يجب أن تحضر إلىّ بمجرد انتهاء السنة الدراسية ، لتقضى معى الإجازة الصيفية كلها ..

فقد مات أبوك ولم يعد لى سواك بعد الآن يا بنى .

ابتسم (عماد) وهو يقبل يد جده مرة أخرى قائلاً :

ـ اطمئن ياجدى .. سأعود إليك حينما تنتهى الدراسة على الفور .. أطال الله فى عمرك .

هرع (عماد) إلى (ميرفت) وقد أسعدها أن ترى ملامح الفرحة فى عينيه هذه المرة ، حيث تحدث إليها قائلاً :

ـ لقد انتهت المشكلة يا (ميرفت) .. سأعود إلى القاهرة .. وأواصل تعليمى على النحو الذى أردته لنفسى من قبل .

ـ كيف ؟

ـ لقد استطاع جدى أن يدبر الأمر .. سيشارك أحد الأشخاص فى محل النجارة لتوفير المصاريف المطلوبة .

ـ لكن هذا سيكون عبئًا بلا شك على جدك .

قال (عماد) سريعًا :

ـ إنه يعرف كيف يدبر الأمر .. المهم أن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن كاهلى .

ـ بالنسبة لى .. كنت أتمنى أن تلتحق بجامعة المنصورة .. فهذا كان سيجعلك أكثر قربًا منى .. ويجعلنى أراك كثيرًا .

ابتسم (عماد) قائلاً :

ـ لقد بدأت أصبح طالبًا متميزًا فى كليتى بالقاهرة .. وبعض الأساتذه يتنبئون لى بمستقبل باهر .

نظرت إليه (ميرفت) بعينين تملؤهما التساؤلات قائلة :

ـ وماذا عن مستقبلنا معًا يا (عماد) ؟

ـ لقد حددنا هذا المستقبل من قبل يا (ميرفت) .. أليس كذلك ؟

تنهدت (ميرفت) قائلة :

ـ أحيانًا أشعر بأنك تتجاهل ما اتفقنا عليه وحلمنا به .. وأن كل ما يعنيك هو طموحك ونجاحك فقط .

- إن نجاحى وطموحى من أجلك فى النهاية .. ألسنا كيانًا واحدًا ؟

- بالنسبة لى فطموحى الوحيد هو أن أكون زوجتك وأن أعيش معك تحت سقف واحد .. فحبى لك ليس مثل أى حب عادى .. إنك تعنى بالنسبة لى كل شىء يا (عماد) .

أمسك (عماد) بمرفقيها قائلاً بصوت دافئ :

- وأنت أيضًا بالنسبة لى الكثير يا (ميرفت) .. وأنت تعرفين ذلك .

- أما زلت تحبنى حقًا يا (عماد) ؟

- أنت جزء من نفسى يا (ميرفت) .. وكلمة الحب لا تكفى للتعبير عن مشاعرى نحوك .

- هذا ما أريد أن أحسه منك دائمًا .

- ألا تحسينه حقًا ؟

- أحيانًا أشعر بأن هناك طموحات كثيرة تشغل مشاعرك وتفكيرك .. ولا تترك مجالاً لأى مشاعر أخرى .

- لا أنكر أن لدى أحلامًا كثيرة أرغب فى تحقيقها .. وأننى أحلم بأن أكون إنسانًا متميزًا .. وليس مجرد خريج عادى مثل آلاف الخريجين الذين يتخرجون كل عام من الكليات والجامعات ، لكن هذا لا يمكن أن يؤثر بأى حال من الأحوال على حبى لك .

- هذا ما أردت أن أسمعه منك .. لكى يطمئن قلبى .

ابتسم لها (عماد) قائلاً :

- لكنى قلته لك من قبل أكثر من مرة .

- لكنى لن أتوقف عن مطالبتك بقوله .

- ألا تحبين أن ترى زوجك شخصًا ناجحًا ومتميزًا ؟

- أتمنى أن تحقق كل آمالك وأحلامك .

- هذا ما أحب أن أسمعه منك دائمًا .

- لكنى سأفتقدك كثيرًا .

ـ سأعود فى إجازة نصف السنة .

ـ إذن فلن أراك قبل مرور ثلاثة أشهر أخرى .

ـ الشهور تمر سريعًا .

ـ كنت أظن أنك ستحضر إلى البلدة كل أسبوعين على الأقل .

ـ لا أستطيع يا (ميرفت) .. إننى بحاجة لتعويض الوقت الذى فاتنى من التحصيل والدراسة .

كما أن الظروف المادية الحالية لم تعد تسمح بتحمل تكاليف السفر كل أسبوعين أو حتى كل شهر .

قالت له بحزن :

ـ إننى أعد الأيام حتى أراك يا (عماد) .

ـ أنا أيضًا أفتقدك بشدة .. ولاتظنى أن ابتعادى عنك أمر هين .. لكن الظروف تحتم ذلك .. وعلينا أن نتحمل .

ـ سأنتظرك يا (عماد) .. سأنتظرك دائمًا .

ابتسم لها قائلاً :

ـ مهما حدث يا (ميرفت) .

قالت بعينين تشعان حبًا وصدقًا :

ـ مهما حدث يا حبيبى .

* * *



٤ـ كفاك رحيلاً ..

انقضت سنوات الدراسة .. وتعالت الزغاريد فى منزل الجد وهو يستقبل حفيده ، بعد أن حصل على البكالوريوس بتقدير امتياز ، وكان الثانى على دفعته .. قال له الجد :

ـ مبروك يا بنى .. إننى لم أصدق أننى عندما أخبرتنى بالنتيجة المشرفة التى حققتها عن طريق الهاتف .

ابتسم (عماد) قائلاً بتفاخر :

ـ لماذا يا جدى ؟ لا بد أن تكون قد اعتدت على ذلك .. فهذه ليست المرة الأولى التى أحرز فيها نجاحًا متفوقًا .

قال الجد والفرحة ما زالت تملأ عينيه :

ـ نعم يا بنى .. لكنه البكالوريوس هذه المرة .

ـ كنت أتمنى أن أكون الأول .

قال الجد وهو يضع يده على كتف حفيده .

ـ والثانى أيضًا نتيجة مشرفة .. خاصة وأن التقدير (امتياز) .

وأطلق الجد زفرة قصيرة وهو يستطرد قائلاً :

ـ كنت أتمنى أن يكون أبوك معنا الآن .. لقد كان ينتظر هذا اليوم دائمًا .

ربَت (عماد) على صدر جده بحنان قائلاً :

ـ البركة فيك يا جدى .. أنا أعلم أننى أثقلت عليك بمصاريفى .. خاصة وأن الظروف المادية لم تكن على ما يرام .

قال الجد بحنان :

ـ كل شىء يهون فى سبيل هذه اللحظة يا بنى .. اللحظة التى أراك فيها ناجحًا ومتفوقًا .. لأباهى وأفتخر بك أمام كل أهل البلدة .

وفى تلك اللحظة توافد أهل البلدة لتهنئته على نجاحه .

وسأله أحدهم قائلاً :

ـ والآن ماذا قررت أن تفعل بعد حصولك على الشهادة يا أستاذ (عماد) ؟

ـ فى الحقيقة أنا ..

لكنه توقف عن الاستطراد فى الحديث ، عندما لمح (ميرفت) وهى تنظر إليه مبتسمة من وراء النافذة .. فالتفت إلى زائريه قائلاً :

ـ عن إذنكم .. بضع دقائق فقط وأعود اليكم .

نظر إليه الجد باستغراب قائلاً :

ـ إلى أين يا بنى ؟

تلعثم (عماد) وهو ينظر إلى النافذة قائلاً :

ـ سوف أذهب .. إننى .. أعنى ..

نظر الجد إلى (ميرفت) التى كانت تقف فى انتظاره، مبتسمًا وقد أدرك سر ارتباكه وتلعثمه .. قائلاً :

ـ آه .. فهمت .. حسن .. اذهب .

انصرف (عماد) سريعًا للقاء (ميرفت) بينما استرعى انتباه أهل البلدة وجودها .. فتحدث أحدهم إلى رفيقه قائلاً :

ـ ها هى ذى ست الحسن والجمال قد جاءت لتهنئته .

وتحدث آخر هامسًا إلى رفيقه قائلاً :

ـ وهل يصح أن ينصرف هكذا دون اعتبار للرجال الذين جاءوا لتهنئته من أجل الذهاب للقاء هذه الفتاة ؟

همس له رفيقه قائلاً :

ـ ومنذ متى كانا يعملان لنا أو لأى شخص فى البلدة أى اعتبار ؟

.. عشنا وشفنا .. البنات تأتى لمقابلة الشباب هكذا أمام الكبار وأهل البلدة .. دون أدب أو حياء .. إننى لا أدرى ما الذى حدث لنا حتى نرضى بوضع كهذا ؟

همس أحدهم قائلاً :

ـ وبعدين يا جماعة .. الحاج (عباس) يسمعكم . لو كانت هذه ابنته أو حفيدته .. فهل كان سيرضى عن هذا ؟

ـ عل أية حال ها هو ذا قد حصل على الشهادة .. ولابد أنه سيعلن خطبتهما قريبًا .

ـ ليت هذا يحدث حتى ننتهى من هذه المهزلة .

ـ سيحدث .. الكل يعرف أن (عماد) لـ (ميرفت) و(ميرفت) لـ (عماد) منذ أن كانا طفلين فى المهد ..

ـ مادام الكل يعرف هذا .. فالأمر لايحتاج إلى خطبة .. ولا يوجد مايدعو إلى المزيد من الانتظار .. لماذا لايتزوجان .. لننتهى من هذا الأمر ؟

قال أحدهم متهكمًا :

ـ أتظن أنه سيتزوجها حقًا ؟

ـ ولِمَ لا ؟ الكل يعرف ذلك .

قال الرجل بنفس النبرة المتهكمة :

ـ هذا ما تظنونه .. لأنكم طيبون .. إن هذا الشاب متكبر .. وله تطلعات كبيرة .

ولا أعتقد أن بنت (أمينة) ستصبح ملائمة له .. بعد حصوله على الشهادة والنجاح الذى كان ينتظره .

قال أحدهم محذرًا وهو ينظر إلى جده :

ـ لماذا لاتتوقفون عن هذا اللغو ؟ إن الحاج (عباس) ينظر نحونا .. ومن العيب أن يلاحظ أننا نتكلم عن حفيده هكذا .

قال آخر هامسًا :

ـ حقًا ياجماعة .. هل جئنا لتهنئته بنجاح حفيده أم للذم فيه ؟

قال آخر محدثًا نفسه وهو يغمغم قائلاً :

ـ وأين هو حفيده ؟ لقد ترك مجلس الرجال .. ليلحق بحبيبة القلب .

★ ★ ★

تأملها بعينين متشوقتين قائلاً :

ـ (ميرفت) .

قالت والسعادة تغمر وجهها :

ـ مبروك يا (عماد) .

تلفت حوله .. ثم نظر فى اتجاه المنزل قائلاً :

ـ ما الذى أتى بك الآن ؟

قالت ويدها تحتضن يديه .

ـ لم أستطع أن أنتظر حتى آتى لتهنئتك بالنجاح .

عاد لينظر فى اتجاه المنزل قائلاً :

ـ لكن عددًا كبيرًا من أهل البلدة موجودون هنا .. ولا بد أنهم شاهدوك .

ـ قلت لك لم أستطع الانتظار .. ووجدت نفسى أهرع إليك دون تفكير ، والفرحة تملأ قلبى وتهز مشاعرى لكى أهنئك .

ابتسم وهو يتأملها قائلاً :

ـ دائمًا أنت هكذا .. فى الحزن أو الفرح ألقاك أمامى لتخففى عنى أحزانى .. أو تشاركينى فرحى .. دون أى اعتبار لأية أشياء أخرى .

ـ ماذا أفعل ؟ ألم تقل إننى جزء من نفسك ؟ فكيف لا أشاركك أفراحك وأحزانك ؟

تأملها قائلاً :

ـ لكن يجب أن تعملى حسابًا لكلام الناس .

احتضنته بعينيها قائلة :

ـ أنت بالنسبة لى كل الناس يا (عماد) .. وأنا سعيدة .. سعيدة للغاية من أجلك .

عاد ليلتفت حوله قائلاً لها :

ـ دعينا نذهب إلى مكان آخر لنتحدث .. فقد أوحشتنى كثيرًا .

تعلقت بذراعه قائلة :

ـ هل حصلت على تقدير (امتياز) حقًا ؟

قال لها بغرور مصطنع :

ـ وهل كنت تريديننى أن أحصل على أقل من ذلك ؟

لكن ما لبث أن ارتسمت ملامح الامتعاض على وجهه ، وهو يستطرد قائلاً :

ـ لكن أفلت منى أن أكون الأول على الدفعة .

ابتسمت وهى تتشبث بذراعه قائلة :

ـ لاتكن طماعًا .. الثانى على الدفعة ليس شيئًا هينًا .

- أنت تعرفين .. أحب أن أكون الأول دائمًا .. لكن ماذا أفعل ؟

الأول عمه هو عميد الكلية .. وبالطبع لا بد أن تكون له الأولوية والمكانة الأولى فى ترتيب الأوائل .

- وماذا قررت أن تفعل بعد حصولك على البكالوريوس بهذا التقدير المرتفع ؟ لابد أنك ستعين معيدًا فى الكلية .

- حتى هذه غير مضمونة .. فالكلية لن تكون بحاجة لأكثر من معيد واحد هذا العام .. وبالطبع ستكون هذه الوظيفة من نصيب الأول على الدفعة .. بل ستكون من نصيبه حتى لو لم يكن الأول باعتباره ابن أخ عميد الكلية .

- لاتكن متشائمًا هكذا .

- أنا لست متشائمًا .. وبينى وبينك وظيفة معيد فى الكلية لاترضى طموحى .

- وما هو الشىء الذى يرضى طموحك ؟

- إن طموحى الحقيقى لن يتحقق هنا .

نظرت (ميرفت) إليه فى تساؤل قائلة :

ماذا تعنى بذلك ؟

- أعنى أننى لن أحقق ما أريده إذا ما ظللت فى مصر .. ولابد لى من السفر إلى الخارج .. وبالتحديد إلى أمريكا .

صاحت بانزعاج قائلة :

- أمريكا ؟

* * *



٥ ـ الجوهرة ..

قال (عماد) .

ـ نعم .. أريد أن أستكمل دراستى هناك .

ـ ولماذا لا تستكملها هنا ؟

ـ هناك سأحقق كل ما تمنيته .. فى الدراسة .. وفى العمل .

ـ وهنا أيضًا تستطيع أن تحقق ما تريده .

ـ (ميرفت) .. افهمينى .. إن مستقبلى العلمى والمهنى هناك .. إننى متخصص فى (الجيولجيا) .

ماذا ينتظرنى هنا ؟ فنى يجلس على مكتب فى شركة تعدين ؟

ـ وماذا تريد أن تكون ؟ (فاروق الباز) ؟

ـ ولِمَ لا ؟ لقد كان فى البداية شابًا طموحًا مثلى .. استطاع بطموحه وذكائه أن يشق لنفسه طريقًا ، فى

مجتمع يقدم كل التسهيلات والإمكانيات العلمية لمن يحتاج إليها .. فأصبح من كبار العلماء المعدودين فى العالم . وهذا ما أريد أن أحققه لنفسى .

ـ ومن أين لك بالمصاريف التى تساعدك على تكملة هذا المشوار الطويل ؟ لقد استطاع جدك أن يكفى مصاريف إقامتك ودراستك فى القاهرة بمشقة بالغة ..

ـ لا أدرى .. كل ما أفكر فيه هو أن أحصل على فرصتى العلمية الحقيقية .. حتى لو اضطرتنى الظروف أن أدرس وأعمل هناك .

ـ إنك لم تستطع أن تتحمل فكرة الدراسة والعمل فى مصر .. فكيف ستوفق بين الاثنين فى (أمريكا) مع مشقة العمل والغربة هناك ؟

ـ (ميرفت) .. لماذا لا تشجعيننى بدلاً من هذا الإحباط ؟

ـ أنت تعرف أننى كنت أشجعك دائمًا .. لكنى لا أريد أن تسرف فى طموحك إلى الحد الذى تعجز فيه عن مواجهة الواقع .

- لقد توقعت أن أقهر ظروفى دائمًا مهما كانت قسوتها .

- وظروفى أنا يا (عماد) .. ألا تشغل تفكيرك ؟

- أية ظروف ؟

- ماذا عن ارتباطنا معًا ؟ لقد ظللت أترقب هذه اللحظة منذ سنوات ، لكى نرتبط ارتباطًا رسميًا بعد حصولك على البكالوريوس .. فتأتى أنت لتحدثنى عن السفر إلى (أمريكا) ..

قال لها بضيق :

- أنا أفكر فى شىء .. وأنت تفكرين فى شىء آخر تمامًا .

- ألا يشغل زواجنا شيئًا من تفكيرك ؟

- وهل تظنين أن مجرد حصولى على البكالوريوس كاف للقيام بأعباء الزواج ؟

- على الأقل تكون بيننا خطبة رسمية .

- وماذا بعد الخطبة ؟ هل ستظل مخطوبين بقية العمر ؟ أم أنه سيعقب ذلك زواج ومصاريف وتكاليف ، وشقة وأثاث إلى آخره ؟

- أنت تعرف أنه لا يهمنى شىء سواك .. ولن يلزمك أحد بتحمل الكثير .. انا لا أريد شَبكة .. ويمكننا أن نكتفى بأثاث بسيط .. ومكان متواضع فى البداية .

التفت إليها قائلاً :

- أنت الآن من تتحدث دون واقعية .. فحتى هذه الأشياء المتواضعة التى تتكلمين عنها ، تفوق قدراتى وإمكانياتى المحدودة فى الوقت الحالى .. ثم إننى أريد عندما نتزوج أن يكون عرسنا مضرب الأمثال . أريد أن يكون لدينا أفخر أنواع الأثاث .. وأن أحضر لك شَبكة قيمة .. وأن نحيا أفضل حياة .

- إنك تبدو متناقضًا مع نفسك يا (عماد) .. كيف يتحقق ذلك برغم اعترافك بضعف إمكانياتك وتواضعها ؟

- بالصبر يا (ميرفت) .. بالصبر والاجتهاد .. إننى بحاجة للسفر والعمل والسعى وراء طموحاتى العلمية .. لكى أتمكن من تحقيق كل هذا .

صاحت (ميرفت) منفعلة :

ـ الصبر ؟ وهل تنتظر منى أن أصبر أكثر من ذلك ؟ إننى أحيا فى ظروف أكثر صعوبة منك .. وأتحمل مسئولية أمى المريضة .. كما أتحمل الغمز واللمز من الناس هنا بسبب ارتباطى بك . ومع ذلك فأنا أتحمل كل ذلك ولا أشكو .. فى انتظار أن تقرب السنوات بيننا .. وأحلم باليوم الذى نتزوج فيه . وتأتى أنت اليوم لتطالبنى بالصبر والانتظار سنوات أخرى طويلة ، حتى تحقق طموحاتك وأحلامك ؟

صاح بانفعال مماثل قائلاً :

ـ ولِمَ لا ؟ أنت مازلت صغيرة .. وأنا كذلك .. والحياة مازالت ممتدة أمامنا .

قالت له وهى تكاد أن تبكى :

ـ (عماد) .. إننى أحبك .. ألا تعرف معنى هذه الكلمة ؟ ألا تعرف حجم معاناتى وأنت بعيد عنى ؟ ألا تدرك أنه حتى لقاءاتنا المحدودة هنا تجعلنى عرضة للقيل والقال ؟

خاصة ونحن لم نعد صغيرين كما كنا من قبل .

قال لها متوددًا :

ـ أعرف بالطبع يا حبيبتى .. لكن ..

قاطعته بحدة قائلة :

ـ كلا .. لاتعرف شيئاً من ذلك .. فأنت مشغول بنفسك عن أى شىء آخر .. أنت لا تحبنى .. لايمكن أن تكون قد أحببتنى كما أحببتك ، واندفعت تركض بعيدًا عنه .

بينما حاول اللحاق بها وهو يناديها قائلاً :

ـ (ميرفت) .. انتظرى .. (ميرفت) !

لكنه توقف عن المحاولة وقد ارتسمت ملامح الضيق والغضب على وجهه .. فا ستدار عائدًا .

وما لبث أن رأى صديقه (مصطفى) قادمًا من الاتجاه الآخر ، وهو يقترب منه تدريجيًا بعد أن شاهد ما حدث بينهما .

صافحه (مصطفى) وهو يتطلع إلى (ميرفت) قائلاً :

ـ مبروك يا (عماد) .

قال (عماد) وآثار الضيق مازالت واضحة على وجهه.

- أشكرك يا (مصطفى).

- ماذا حدث ؟ لماذا تجرى (ميرفت) هكذا ؟ هل حدث خلاف بينكما ؟ قص عليه (عماد) ما حدث بينهما .. وقد ظل (مصطفى) منصتًا له حتى فرغ من حديثه .. ثم التفت إليه قائلاً :

- معها حق .

- أى حق ؟ لماذا لانكون واقعيين ؟ من أين لى بمتطلبات الزواج الآن ؟

- (عماد) .. هل تحب (ميرفت) أم لا ؟

- وهل هذا سؤال ؟ هل تسألنى اليوم إذا كنت أحب (ميرفت) أم لا ؟ الكل فى البلدة يعرف ذلك .. وأنت تعرفه قبل الجميع .

- وأنت مستريح لهذا الوضع .. أنت تحبها وهى تحبك .. والكل يعرف ذلك . ولاشىء أكثر من ذلك .

- ماذا تعنى بـ (لاشىء أكثر من ذلك) ؟

انفعل (مصطفى) قائلاً :

- أعنى أنه آن الأوان لكى تتحمل مسئوليتك تجاه الفتاة .. يجب أن تتقدم لخطبتها على الأقل بعد أن ارتبطت بك كل هذه السنين .

- هل هذا هو كل ما يهمكم ؟ أن أتقدم لخطبتها ؟ وماذا بعد الخطبة ؟

- الزواج بالطبع .

- ومستقبلى يا (مصطفى) .

- إننى لا أرى أى تعارض بين مستقبلك وزواجك من (ميرفت) .. إنها جزء من مستقبلك أيضًا .. أليس كذلك ؟

- الزواج يعنى قيودًا .. وأنا لا أريد أن أكبل نفسى بقيد الزواج الآن .. أريد أن أحقق ذاتى وطموحى أولاً .

تنهد (مصطفى) قائلاً :

ـ والمطلوب منها أن تبقى فى الانتظار حتى تنتهى من تحقيق ذاتك وطموحك .

ـ ولِمَ لا ؟ الكل يفعل ذلك .. ألا ترى أن هذا سيكون أفضل لى ولها ؟

ـ بل أرى أنها أنانية منك .

ـ أنت لا تريد أن تفهمنى يا (مصطفى) .

نظر إليه (مصطفى) نظرة لوم قائلاً :

ـ بل أفهمك جيدًا يا (عماد) .. أنت لا تريد أن تتحمل المسئولية تجاه (ميرفت) .. إنك قانع بهذا الوضع طالما أنه لا يكلفك شيئًا .. ولأنك واثق من أن الفتاة تحبك وستظل تنتظرك .

ـ كلا يا (مصطفى) .. أنت مخطئ فى رأيك عنى .. إن حبى (لميرفت) لايقل بأى حال من الأحوال عن

حبها لى . وأنا أتمنى الزواج منها اليوم قبل الغد لكن الزواج فى ظل الظروف الحالية محكوم عليه بالفشل . لقد تعبت كثيرًا فى حياتى يا (مصطفى) وهى أيضًا .. وأنت تعلم ذلك جيدًا . عانينا من الفقر .. والحرمان الكثير .. وأنا أريد أن اتقدم لها وأنا فى وضع أفضل وأكثر تشريفًا لها . أريد أن أعوضها وأعوض نفسى عن سنى الشقاء والمعاناة .

أيهما أفضل : أن أتزوجها الآن .. وأعيش معها فى غرفة فى منزل جدى . بعد أن أقنع بوظيفة بسيطة ومتواضعة ، لايكاد راتبها يكفى لإطعامنا حتى نهاية الشهر ؟ أم ننتظر بضع سنوات أتمكن خلالها من تحقيق النجاح الذى أنشده .. وأصبح شخصًا مرموقًا له اسمه ومكانته .. ويتحصل على دخل وفير يوفر لها الحياة رغدة ، تعوضها عن سنى الشقاء ؟

ـ ولماذا لا تتزوجان وتتشاركان معًا فى صنع هذا المستقبل الباهر الذى تبحث عنه ؟

ـ من الصعب أن تحقق الاثنين معًا .. أنا مقبل على حياة أكثر صعوبة من الحياة التى عشتها . حياة مجهولة .. وغامضة .. أستعد خلالها لمواجهة نوع آخر من الغربة .. والصعاب .

هناك فى (أمريكا) .. يجب أن تكون أكثر اهتمامًا بذاتك لكى تناضل وسط مجتمع لايرحم . وأنا سأناضل فى جبهتين .. العلم .. والعمل فى آن واحد . فكيف أستطيع تحمل مسئوليتى نحوها وسط هذا الخضم من الصراع ؟

ربما اضطرتنى الظروف للجوع أحيانًا .. والتشرد أحيانًا أخرى .. فكيف أشركها معى فى حياة كهذه ؟

وحتى لو تزوجنا .. وبقيت هنا .. فإننى لن أستطيع أن اتحمل مسئوليتى نحوها كزوج .. وأنا أحاول أن أنهض بأعباء مسئوليتى تجاه نفسى .

ـ أليس لديك بديل آخر سوى السفر إلى (أمريكا) ؟

ـ إننى مصرّ على تحقيق هدفى .. والسفر إلى (أمريكا) هو الذى سيساعدنى فى الوصول إلى هذا الهدف .

وصمت برهة قبل ان يستطرد قائلاً وهو يمسك بذراع صديقه :

ـ يجب أن تقدر ظروفى يا (مصطفى) .. ويجب أن تقنعها بذلك .

نظر إليه (مصطفى) قائلاً :

ـ يجب أن تقتعنى أنت أولاً .. أنك لن تتخلى عنها .

ـ أنا لا أستطيع أن أتخلى عن (ميرفت) يا (مصطفى) .. فحبى لها أكبر وأقوى من مجرد التفكير فى ذلك .

ـ هل تريد أن تقتعنى بصدق مشاعرك نحوها .. وأنت تريد منها أن تبقى فى انتظار حلم لاحدود له تحلم بتحقيقه ؟

متى يتحقق هذا الحلم ؟ لا تعرف .. كم من السنوات عليها أن تنتظر ؟ لا تعرف كم شابًا يمكن أن يتقدم لها وترفضه فى انتظار عودتك إليها .. لا يهم .

وفى النهاية .. لا أعرف .. إذا ما استطعت أن تحقق الشهرة والمجد وأن تصل إلى النجاح الذى تتمناه ، هل ستفى بوعدك لها ، وترتبط بها حقًا ؟ بعد أن تصبح العالم الكبير والمرموق الذى حلمت به .. فى حين تبقى هى على ما كانت عليه .. الفتاة الفقيرة ذات المؤهل المتوسط .. التى تعيش فى هذه البلدة الريفية الصغيرة ؟ أم أنك ستنظر إلى الأمور وإلى علاقتك بها وقتئذ نظرة أخرى ؟

ـ (مصطفى) .. ما هذا الذى تقوله ؟

ـ إننى أخشى عليها من طموحك الزائد يا (عماد) .

ـ كنت أظن أنك تثق بى أكثر من ذلك . إنك صديقى .. وأنت تعرف مدى حبى لك .. كما أننى أعتبر (ميرفت) .. بمثابة .. بمثابة أخت لى .. لذا لا أريد منك أن تتخلى عنها .

إنها تحبك حبًا لم أر له مثيلاً .. وصدقنى ، إنها أهم من أى شىء آخر تسعى وراء تحقيقه . صدقنى ، إنك لو حققت كل ما تتمناه وخسرتها .. ستكون قد خسرت كل شىء . فمن النادر أن تجد فى زمننا هذا فتاة تحمل كل هذا القدر من الحب والإخلاص .. إنها جوهرة ثمينة .. فلا تدعها تضيع من يديك .

* * *



٦ ـ وداعًا للخوف ..

صاح الجد منفعلاً :

ـ ماذا تقول ؟ أبيع المحل ؟

ـ ياجدى .. إن شريكك تحدث معى .. وقد عرض مبلغًا كبيرًا مقابل شراء نصيبك من المحل .

ـ مهما كان المبلغ الذى عرضه .. لن أبيع محلى .. ألا يكفى أننى رضيت بأن يشاركنى فيه غريب من أجلك ؟ تأتى اليوم لتطالبنى ببيعه .. هل هذا هو التعويض الذى عدت لتعوضنى به .

ـ ياجدى .. تأكد أننى بعد أن أسافر إلى أمريكا ، وتستقر بى الأمور هناك .. فسوف أعوضك عن كل قرش صرفته على .

قال الجد ساخرًا .

ـ كيف ؟ هل سترسل لى مصروفى أول كل شهر ؟ أم تشترى لى محلا بديلاً ؟

ـ لو أردت سأشترى لك أكبر ورشة نجارة تريدها .. أو أرسل لك لتعيش معى فى (أمريكا) .

ضحك الجد قائلاً :

ـ تتكلم وكأنك واثق من أنك ستحقق الشهرة والنجاح اللذين تحلم بهما هناك بالفعل .

قال (عماد) بثقة :

ـ لقد اعتدت أن أحقق ما أعد به دائمًا .

ـ وماذا عن زواجك من (ميرفت)

قال له بضيق :

ـ أليس هناك حديث آخر اليوم سوى موضوع زواجى من (ميرفت) ؟

ـ الأحاديث كثيرة يا بنى .. خاصة فى بلدة صغيرة كبلدتنا .. لقد كان بعضهم يتحدث اليوم عن علاقتكما ويتندرون بها .. وقد وصلت بعض الكلمات إلى أذنى ، ووجدت فيها ما يسىء لك ولها .. لكنى تظاهرت بعدم السمع .

- لست مسئولاً عما يردده بعض الجهلاء فى هذه البلدة .

- لكنك مسئول عن الفتاة التى ربطت مصيرها ومستقبلها بك .

- أنا لم أعدها بالزواج بمجرد ظهور نتيجة البكالوريوس .

- ومتى يكون هذا الزواج إذن ؟

- بعد أن أحقق ذاتى ومستقبلى .

- هذه كلمة مطاطة وغيرِ محدودة .. يجب أن تكون رجلاً وتحدد ميعادًا معينًا .. وإلا فتوقف عن مقابلة الفتاة .. ودعها لنصيبها مع غيرك .

- إننى أحادثك بشأن السفر وبيع المحل الآن .. وليس بشأن زواجى من (ميرفت) .

قال الجد بصرامة :

- وأنا آسف .. لن أبيع المحل من أجل تذكرة سفر إلى أمريكا .. لقد قمت بواجبى نحوك على الوجه الاكمل ..

ولست ملزمًا بما هو أكثر من ذلك .. إذا كنت تريد

أن تسافر فهذا شأنك .. دبر مصاريف سفرك وواجه ظروفك بنفسك .

- هل هذا هو آخر ما لديك يا جدى ؟

- نعم .

استدار (عماد) متأهبًا للانصراف وقد غلبه اليأس .

لكن الجد استوقفه قائلاً :

- إننى مستعد لبيع نصيبى فى المحل .. وإعطائك نصف ثمنه فى حالة واحدة .

التفت إليه (عماد) فى لهفة قائلاً :

- وما هى .

- أن يكون هذا المبلغ مساهمة فى مصاريف زواجك من (ميرفت) .

فكر (عماد) قليلاً .. ثم ما لبث أن قال :

- موافق .

نظر إليه جده بارتياب قائلاً :

- والسفر ؟

ـ يمكن أن يؤجل لما بعد .

ـ هل غيرت رأيك بهذه السرعة ؟

ـ أنت تعرف أننى أحب (ميرفت) .. لكن مشكلتى فى الزواج منها هى نفس مشكلتى بالنسبة للسفر .. وهى النقود وضعف الإمكانيات المادية . وما دام السفر متعسرًا .. وتستطع أن تساعدنى فى حل مشكلتى بالنسبة للزواج من (ميرفت) .. فلايوجد مايحول دون إتمام الأمر .

* * *

اعترض (عماد) طريقها قائلاً :

ـ إلى أين تذهبين ؟

أزاحت يده بعيدًا وقد ارتسم تعبير غاضب على وجهها قائلة :

ـ ليس لك شأن بذلك .

وواصلت طريقها .. لكنه لحق بها .. وسار بجوارها وهو يبتسم قائلاً :

ـ أما زلت غاضبة منى ؟

قالت له بكبرياء :

ـ لايوجد مايستحق أن يغضبنى منك .

ـ إذن .. لم هذه المعاملة ؟

التفتت إليه قائلة بحدة :

ـ قلت لاشأن لك بى .

ـ قال لها بإلحاح وهو مستمر فى السير بجوارها :

ـ إذن .. فأنت غاضبة منى .. ويبدو أنك تخاصميننى أيضًا .. وأنا لا أقدر على خصامك .

استدارت إليه مرة أخرى وهى تضع يدها حول خصرها قائلة :

ـ ماذا تريد منى ؟

هز كتفيه قائلاً :

ـ أريد مصالحتك .

ـ ليس بيننا صلح أو خصام .

قال وهو يحدجها بنظرة عميقة :

ـ لكن بيننا قصة حب كبيرة .

واصلت السير قائلة باستهزاء :

- حب ؟!

- نعم .. ولا يمكنك أن تنكرى ذلك .

- أرجوك .. ابتعد .. إنك تلفت أنظار أهل البلدة إلينا .

- وهل هذه هى المرة الأولى التى يروننا فيها معًا ؟

توقفت مرة أخرى وهى تحاول مغالبة عاطفتها نحوه ، لترجوه قائلة :

- (عماد) .. أرجوك ابتعد عنى .. كفاك تلاعبًا بمشاعرى .

لكنه أمسك بمرفقيها قائلاً بصوت دافئ :

- لا أستطيع يا (ميرفت) .. فأنا جزء من نفسك كما قلت ، وأنت جزء من وجدانى .

- أنا أعرف قدر نفسى جيدًا بالنسبة لك .. إننى أحتل الدرجة الأخيرة من قائمة اهتماماتك وطموحاتك ، التى تستحوذ على عقلك ومشاعرك ، أما أنت فإنك تعنى بالنسبة لى كل شىء .

- لا تقولى ذلك يا (ميرفت) .. فأنت أهم شىء بالنسبة لى .. لذا أريد أن أكون جديرًا بك .. أريد أن أكون زوجًا تفخرين به .

تطلعت إليه بعينين دامعتين قائلة :

- لو أدركت حقيقة عاطفتى نحوك حقًّا .. لعرفت أن ما يعنينى هو أنت .. شخصك .. (عماد) الذى أحببته .. وليس شهاداتك الجامعية .. أو الشهرة والمال الذى يمكن أن تجلبه لى .

- ألم أقل لك من قبل : إنك رومانسية أكثر مما يجب ؟ لم يعد أحد يفكر بهذه الطريقة الآن .. والحياة لا تعتمد على المشاعر العاطفية وحدها لكى تستقيم بالنسبة لشخصين متحابين .

- إننى لا أفهم ما تقوله .. لكنى أفهم مشاعرى نحوك فقط . أما أنت فأحيانًا كثيرة أحس أنك لا تقدر هذه المشاعر ، ولا تقدّر شعورى تجاه نفسى وتجاه الآخرين .. فى كل مرة نلتقى فيها معًا .. سواء خلسة أو أمام

الناس .. وهم يترقبون وينتظرون النهاية الشريفة والمتوقعة لهذا الحب ، الذى أصبح مضغة فى الأفواه .

- أفهم .. وأقدر .. لذا قررت أن أتخذ خطوة جادة تجاه علاقتنا .

نظرت إليه غير مصدقة قائلة :

- حقًا يا (عماد) ؟

ابتسم لها قائلاً :

- حقًا يا (ميرفت) .. ما رأيك لو عقدنا خطبتنا على نهاية الأسبوع القادم ؟

- إياك أن يكون هذا تلاعبًا أو خداعًا منك يا (عماد) .

- سنحضر أنا وجدى لزيارة والدتك غدًا ، ولنتفق على التفاصيل . أخبريها بذلك .

انطلقت (ميرفت) إلى منزلها وهى تشعر بأنها تكاد أن تطير فوق الأرض من فرط السعادة .

أخيرًا سيتحقق حلمها .. وتقترن بالشخص الذى أحبته وتمنته طوال حياتها .

إنها لا تستطيع أن تتخيل أن أمنيتها ستتحقق بعد طول انتظار ، وأن الله قد استجاب لدعائها ورجائها أخيرًا . كان هناك خوف يعتمل فى نفسها دائمًا من أن تفقد (عماد) برغم ثقتها بحبها له وحبه لها . لكن ظل لديها الاعتقاد بأن هناك اهتمامات أخرى يمكن أن تأخذه منها وتبعده عنها .. ليس لفترات من الزمن فقط .. ولكن ربما العمر كله .. لكن يبدو أنها كانت مبالغة فى مخاوفها .. ومتشائمة أكثر مما يجب .

لقد آن لها أن تلقى بهذه المخاوف وراء ظهرها .. وأن تحلم بيوم عرسها .. وعش الزوجية الذى سيجمعها مع (عماد) .

* * *



٧ ـ مهما بعدت المسافات ..

احتفل غالبية أهل البلدة بخطبة (ميرفت) إلى (عماد) .

وبرغم حزن (مصطفى) الداخلى من أجل حبه الضائع .. ومشاعره العميقة تجاه (ميرفت) .. التى لم تجد لها صدى فى نفسها .. إلا أنه أخفى أحزانه وطوى قلبه على جرحه ، كما اعتاد أن يفعل دائمًا منذ أن ادرك أن (ميرفت) تحب صديقه ، وأنها لن تكون من نصيبه .

وقدم لهما تهنئة صادقة من القلب .. قائلاً لـ (ميرفت) :

ـ مبروك يا (ميرفت) .

ابتسمت له فى امتنان حقيقى قائلة :

ـ الله يبارك فيك يا (مصطفى) .. عقبى لك ..

ثم التفت إلى (عماد) قائلاً :

ـ خطبة مباركة يا (عماد) .

ربت (عماد) على ظهره قائلاً :

ـ أشكرك يا صديقى العزيز .

ابتعدت (ميرفت) لتحية ضيوفها ، فى حين همس (مصطفى) فى أذن صديقه قائلاً :

ـ حافظ على (ميرفت) جيدًا .

ابتسم (عماد) قائلاً :

ـ إنها فى عينى .

ـ متى يكون عقد القران ؟

قريبًا .. قريبًا جدًا .

ـ ألست بحاجة لأى مساعدة مادية ؟ قل ولا تخجل .

ـ أشكرك يا (درش) .. أحتفظ بك لوقت حاجة .

ـ لقد سمعت أن جدك قد باع نصيبه فى ورشة النجارة .

- لم تكن هناك وسيلة أخرى للإقدام على الزواج سوى هذه .

- مسكين عم (عباس) .. لابد أن بيع نصيبه فى ورشة النجارة كان أمرًا قاسيًا على نفسه .. فقد تألم حينما رضى بأن يكون له شريك فى المحل .. فما بالك إذا كان قد اضطر للبيع ؟!

ارتسمت ملامح التوتر على وجه (عماد) قائلاً :

- على أية حال كان لابد لهذا المحل أن يباع فى النهاية .. فالعائد منه لم يكن مجزيًا .. ولا يستحق التعب .

- لا تنس أن هذا العائد الذى تستهين به هو الذى ساعدك على إكمال دراستك ، والحصول على شهادتك .

قال له (عماد) بغضب :

- ماذا بك يا (مصطفى) ؟ أتستكثر علىَّ الشهادة التى حصلت عليها بتعبى ومجهودى ؟ أم تحاول أن تذكرنى دائمًا بفقرى ؟

نظر إليه (مصطفى) بدهشة واستنكار قائلاً :

- أنا ؟ أنا يا (عماد) ؟

- إذن ما معنى أن تتحدث إلىَّ الآن وأنا أحتفل بخطبتى .. عن فلوس محل النجارة التى لولاها لما تعلمت ، وأقدمت على الزواج .

حاول (مصطفى) أن يدافع عن نفسه :

- أنا لم أقصد هذا المعنى الذى فهمته مطلقًا .. لقد أردت أن أقول ...

لكن الجد قطع عليهما الحديث فى هذه اللحظة ، وكان على مقربة منهما فاستمع إلى جزء من حديثهما دون قصد :

- أنا أعرف ما تقصده يا بنى .

ثم التفت إلى (عماد) وهو يستطرد قائلاً :

- ولكن .. أليست هذه هى الحقيقة يا (عماد) ؟ ألم تتعلم وتعيش وتنفق من دخل المحل الصغير الذى لا يعجبك ؟

لاذ (عماد) بالصمت .. فى حين أكمل الجد حديثه قائلاً :

- إن صديقك يقصد أنه لا يتعين عليك أن تقلل من شأن هذا المحل ، لأنه صاحب فضل عليك وعلىّ وعلى أبيك ..

ولولا رغبتى فى أن أفرح بك ، وأن أزوجك قبل موتى ، لما فرطت فيه أبدًا حتى لو كان يدر على قروشًا قليلة أول كل شهر .

قال (عماد) :

- إنه تفكير عاطفى يا جدى .

قال له الجد ساخرًا :

- حقًا ؟

- بالطبع .. إننى لا أفهم معنى أن يتمسك المرء بشىء لا قيمة له ، لمجرد بعض الأمور العاطفية .

- ولماذا لم تقل ذلك حينما كنت تحتاج للدخل الذى يدره هذا الشىء الذى لاقيمة له ؟

- لأنه لم يكن هناك سبيل آخر سوى ذلك .. وعلى أية حال كن واثقًا يا جدى أننى سأعوضك عن هذا المحل .. وعن كل الذى انفقته علىّ .. فلا داعى لأن تشعرنى بالذنب دائمًا .. خاصة أنك أنت الذى اقترحت علىّ بيعه من أجل مساعدتى فى الزواج من (ميرفت) .

أراد (مصطفى) أن ينسحب من هذا الحديث الذى يدور بين الجد وحفيده قائلاً :

- عن إذنكما .

لكن الجد أمسك بذراعه ليستوقفه قائلاً لـ (عماد) :

- أنا لست فى انتظار أن تعوضنى عن شىء .. كما أنك لم تجبرنى على بيع المحل .. إذا أردت أن تعوضنى حقًا عليك أن تسرع بإتمام إجراءات الزواج من الفتاة .. وقبل ذلك عليك أن تعتذر لصديقك .

نظر (عماد) إلى صديقه قائلاً :

- أنا آسف يا (مصطفى) ..

ابتسم (مصطفى) وهو يربت على كتفه قائلاً :

- لا عليك .. لا يوجد ما يدعو للأسف .

ابتسم الجد بدوره قائلاً :

- حسن .. والآن كفانا حديثًا فى هذا الأمر .. فنحن الآن فى مناسبة سعيدة .. وعلى الجميع أن يسعدوا اليوم .

ثم دفعه فى ظهره دفعة بسيطة قائلاً :

- هيا اذهب لخطيبتك .

لكنه استوقفه قبل أن يذهب إلى (ميرفت) قائلاً :

- انتظر !

ثم وضع يده فى جيبه وأخرج مبلغًا من المال ليقدمه له قائلاً :

- خذ .

نظر (عماد) إليه فى دهشة .. فقال مفسرًا :

- الأربعة آلاف جنيه التى وعدتك بها .. أريدك أن تبدأ من الغد فى البحث عن غرفة نوم مناسبة لك ولخطيبتك .

قبله (عماد) قائلاً :

- أشكرك يا جدى .. أشكرك من كل قلبى .

ثم وضع النقود فى جيبه وذهب إلى (ميرفت) .

تعلقت (ميرفت) بذراعه قائلة :

- ماذا حدث ؟

هز (عماد) كتفيه قائلاً :

- لم يحدث شىء .

- هل تخفى علىّ أمورك من الآن ؟ إنك لم تغب عن عينى لحظة واحدة ..

هل حدث خلاف بينك وبين (مصطفى) ؟

- أبدًا .. لم يحدث شىء .

ثم تلفت حوله .. قبل أن يلتفت إليها قائلاً :

ـ دعينا نذهب إلى الشرفة .

ـ ولكن المدعوين ..

قال لها بإلحاح :

ـ خمس دقائق فقط .. أريد أن أنفرد بك لأقول لك شيئًا .

وما إن أصبحا فى الشرفة وحدهما ، حتى تطلعت إليه متسائلة :

ـ ها نحن أولاء قد أصبحنا بمفردنا .. ماذا تريد أن تقول ؟

مسح بيده على شعرها وهو يتطلع إليها بنظرات تنم عن حب جارف قائلاً :

ـ (ميرفت) .. إنك لا تعلمين كم أحبك ؟ أريد أن تثقى دائمًا بحبى لك .

قالت له وقد غلب عليها التأثر :

ـ ما الداعى لأن تقول لى ذلك الآن ؟

ـ لأننى أعرف أنك كنت أحيانًا تشكين فى حبى لك .. برغم أنه واضح فى كل خلجة من خلجاتى .

ـ لقد كنت أخشى أن أفقدك يا (عماد) .. أحيانًا كنت أنظر إلى عينيك وارى فيهما أنك بعيد .. بعيد عنى .. وأننى كلما حاولت الاقتراب منك تزداد المسافة بيننا بعدًا .

قال لها متسائلاً وهو يمسك بيديها بين أصابعه :

ـ والآن ؟

ابتسمت وهى تهز كتفيها قائلة :

ـ الآن لم أعد أخشى من شىء .. وأشعر بأننى كنت واهمة .. لأننا لا يمكن أن نتباعد مهما حدث .

ـ بسبب إعلان خطبتنا رسميًا ؟

ـ إن هذه الخطبة تعنى بالنسبة لى أنك قد اتخذت موقفًا إيجابيًا لتقطع المسافة التى كانت تبعد بيننا .

- والحب ؟ إنه الحب .. والحب وحده هو الذى يقود كلاً منا تجاه الآخر .. مهما بعدت بيننا المسافات .

- إن هذا الحب هو الفنار الذى يضىء لنا الطريق .. حتى لا يتوه أحدنا عن الآخر .. وأنا منقادة إليك بكل مشاعر الحب الكبيرة التى أحملها لك .. والتى تسكن فى قلبى يا (عماد) .

احتواها بين ذراعيه .. وهو يقول لها بصوت متهدج :

- هذا ما أردت أن أسمعه منك الآن .

استكانت بين ذراعيه .. وكادت أن تنسى كل شىء حولها .

لكنها تنبهت على صوت زغرودة كبيرة تنبعث من الداخل .. فأبعدت نفسها عن ذراعيه برفق قائلة :

- والآن .. بعد أن سمعت ما أردت أن تسمعه .. هل تسمح لنا بالعودة إلى الداخل .. ومشاركة المدعوين ؟

أمسك بيدها عائدًا إلى الداخل .. وما إن رآهم المدعوون حتى استقبلوهم بالزغاريد .

وما إن لمحهم الجد حتى لكز (مصطفى) فى كتفه قائلاً :

- هل رأيت صديقك ؟ لقد تسلل بالبنت خلسة بعيدًا عن الآخرين ودون أى أعتبار للموجودين .

عرسان آخر زمن ؟ فى زمننا لم يكن يسمح للشخص أن يرى خطيبته إلا ليلة عقد القران .

رسم (مصطفى) ابتسامة مصطنعه على وجهه ، وهو ينظر إلى (عماد) و(ميرفت) قائلاً :

- لا أظن أنك كنت راضيًا أو سعيدًا لعدم قدرتك على رؤية خطيبتك إلا ليلة عقد القران فقط .

همس له الجد قائلاً :

- أقول لك الحق .. لم أكن سعيدًا مطلقًا .. بل كنت مغتاظًا .

قال (مصطفى) مازحًا :

ـ ولهذا تشعر بالغيرة من حفيدك .. أليس كذلك ؟

نظر الجد إليهما قائلاً وابتسامة عريضة على وجهه :

ـ بل أشعر بالسعادة .. كل السعادة .. كنت أتمنى أن يكون أبوه موجودًا معنا الليلة .

وسرعان ما تغلب على تأثره وهو يعود ليلكز (مصطفى) فى جنبه قائلاً :

ـ هيا .. تشجع وافعل مثله .

أخفى (مصطفى) تأثره بدوره قائلاً :

ـ إن شاء اللَّه يا حاج (عباس) .

★ ★ ★



٨ ـ حب وأنانية ..

فتحت (ميرفت) باب المنزل لتجد الحاج (عباس) واقفًا أمامها ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الحزن والأسى وهو يستند على عصاه .

فهتفت :

ـ عم الحاج .. تفضل .

دخل الرجل المسن متثاقلاً وهو يجر قدميه .. كما لو كانت محملة بأثقال ، ولمحته الأم المشلولة .. حيث كانت جالسة على مقعدها فى أحد أركان الصالة .. فحيته قائلة :

ـ أهلاً يا حاج (عباس) .. يا ألف مرحبًا بك .

قال لها الرجل بصوت واهن :

ـ آسف يا (أمينة) إذا كنت قد جئت فى وقت غير مناسب .

قالت له المرأة معاتبة :

ـ غير مناسب .. وهل هذا كلام تقوله يا حاج (عباس) ؟ البيت بيتك .

أين الأستاذ (عماد) ؟ لماذا لم يأت معك ؟

قال لها بمرارة وهو يتهالك فوق أحد المقاعد .. متكئًا على عصاه :

ـ (عماد) ؟

قالت (ميرفت) وقد انتابها إحساس بالقلق للهجة التى يتحدث بها الرجل :

ـ سأعد لك كوبًا من الشاى يا عم الحاج .

قالت الأم محتجة :

ـ شاى .. ماذا تقولين يا بنيتى ؟ أعدى الإفطار للحاج .

ـ لاداعى لذلك .. لقد جئت لأقول كلمتين وأمشى .

ـ وهل يصح ذلك ياحاج (عباس)؟ هيا يا (ميرفت).. أعدى الإفطار لعمك الحاج .

ـ من فضلك يا ست (أمينة) .. أنا أريد التحدث مع (ميرفت) كلمتين على انفراد .

ـ ولِمَ لا يا حج ؟ تفضل .. تحت أمرك .

اصطحبته (ميرفت) إلى إحدى الحجرات ، وقد ازداد إحساسها بالتوتر حيث سألته بلهفة :

ـ خيرًا يا عم الحاج؟ هل حدث مكروه لـ (عماد)؟

أطرق الرجل برأسه قليلاً .. ثم رفع عينيه إليها بصعوبة قائلاً :

ـ (عماد) سافر يا بنيتى !!

صاحت (ميرفت) قائلة :

ـ سافر ؟!

هز رأسه قائلاً بأسف :

ـ نعم ..

ظلت صامتة لبرهة من الوقت وكأنها تحاول أن تستوعب ما سمعته ، ثم مالبثت أن سألته قائلة :

ـ سافر إلى أين ؟

قال لها مطرقًا :

ـ إلى أمريكا !

شهقت قائلة :

ـ أمريكا .. كيف ؟ ولماذا ؟

ـ أنا نفسى فوجئت مثلك بذلك .. منذ يومين سألته عن غرفة النوم التى طلبت منه شراءها لك .. وعن سبب تأخره فى شرائها ، وأخبرته أنه لو لم يكن لديك مانع .. فإنه يمكننى أن أتحدث إلى شريكى السابق فى محل النجارة .. والذى أصبح مالكا له الآن لعمل غرفة نوم ملائمة .

لكنه قال لى : إنك تريدين شراء حجرة نوم جاهزة .. وإنه مشغول بإحضار بعض الأوراق الخاصة به من الكلية .. وبعدها سيصطحبك إلى أحد محلات (الموبيليا) لشراء حجرة النوم .

لكنه كان يدبر أمرًا آخر .. من وراء ظهرى . استغل طيبتى ولم يحترم شيخوختى .. فسمح لنفسه أن يخدعنى ويكذب علىّ ..

سمح لنفسه أن يأخذ المبلغ الذى أعطيته إياه من ثمن بيع المحل ، لكى يستخدمه فى الحصول على تأشيرة وإعداد أوراق السفر ، والتذكرة اللازمة لسفره إلى أمريكا .

ثم سافر من القاهرة مباشرة دون كلمة وداع .

وفى النهاية أرسل لى خطابًا مع أحد زملائه .. يعتذر لى عن تصرفه هذا ويطلب منى أن أسامحه .. وأنه وجد نفسه مضطرًا لذلك .. لأننى رفضت معاونته على السفر وتحقيق أحلامه ، وأنه سيعوضنى عن كل شىء فى المستقبل ..

اغرورقت عينا الرجل بالعبرات .. وارتجف جسده الضعيف من شدة الحزن والأسى قائلاً :

ـ هذه هى آخر تربيتى ورعايتى له .. هذه هى مكافأتى فى نهاية العمر بعد أن جعلنى أضحى بالمحل من أجله .. يخدعنى .. ويستولى على نقودى .. يضحك من هذه الشيبة .. ثم يرحل مكتفيًا بورقة يرسلها لى مع أحد زملائه .

ثم يطلب منى أن أسامحه ؟!

وانفعل الرجل وهو يستطرد قائلاً :

ـ إننى لن أسامحه أبدًا .. لن أغفر له فعلته هذه ما تبقى لى من العمر .

انسابت عبرات الرجل المسن فوق وجنتيه ، دون أن تقوى الفتاة على أن تقول له شيئًا .. أو تطيب من خاطره .

الصدمة جعلتها لا تقوى على أن تقول شيئًا ..

كانت ذاهلة وعيناها تنطقان بعدم التصديق .

ومالبث أن سلمها خطابًا آخر مغلقًا قائلاً :

ـ لقد أرسل لك هذا أيضًا .

ثم استدار مغادرًا الحجرة والمنزل وهو يردد قائلاً :

ـ حسبى اللَّه ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .

بينما أمسكت (ميرفت) بالخطاب .. وقد تحولت نظرة الذهول فى عينيها إلى فيض من العبرات التى انسابت فوق وجنتيها وغمرت وجهها .

* * *

« حبيبتى (ميرفت) .. عندما تصلك رسالتى هذه أكون فى طريقى إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

أعرف أن تصرفى هذا سيجعلك تتهميننى بالغدر والخيانة .. وربما جعلك تكرهيننى .. لكن صدقينى يا حبيبتى .. لقد فعلت هذا من أجلى ومن أجلك ..

إننى أشعر بأن فرصتى الحقيقية فى السفر إلى أمريكا .. هناك سأبنى لنا مستقبلاً أفضل .. وحياة أكثر رفاهية .

إن المبلغ الذى قدمه لى جدى لم يكن ليفعل لنا شيئًا .. وأنا لا أتصور حياتى معك مجرد حجرة نوم فى غرفة داخل منزل قديم .. وراتب شهرى لايزيد على مائتى جنيه فى الشهر . ليست هذه هى الحياة التى حلمت بها لى ولك . إننى لا أريد أن يكون زواجى منك فى هذه المرحلة قيدًا على قدراتى وطاقتى .. فأنا أستطيع أن أفعل ما هو أفضل لنا من حجرة نوم داخل غرفة فى منزل جدى .

(ميرفت) .. سأظل أعتبرك خطيبتى .. وقبل ذلك

فإنك ستظلين حبيبتى .. تذرعى بالصبر .. ادعى لى واحلمى معى باليوم الذى يضمنا فيه منزل أنيق .. فى أرقى الأحياء بأمريكا ، وأنت زوجة لعالم مشهور وثرى .. حيث الحياة أكثر بريقًا واستمتاعًا .

وأرجو أن تقدرى الدوافع التى جعلتنى أسافر بهذه الطريقة المفاجئة ، وباستخدام هذا الأسلوب . ولاتكرهينى .. لأننى لا أستطيع أن أتوقف عن حبك .. حبيبك المخلص / (عماد) .

ملحوظة : سأستمر فى مراسلتك كلما سنحت لى الظروف بذلك .

أطبقت يدها على رسالته فى انفعال .. ثم ألقت بها على الأرض وأجهشت بالبكاء قائلة :

- كذاب .. مخادع .. غشاش !

* * *

ألقت رأسها فوق صدر أمها التى احتضنتها قائلة فى حنان :

- لاتبكى يا بنيتى .. كونى أقوى من ذلك .

- خدعنى يا أمى .. لم أكن أتخيل أن (عماد) يمكن أن يخدعنى هكذا .

قالت لها الأم مواسية :

- ربما كان محقًا فى تصرفه هذا .. فالحياة صعبة أمام الشباب اليوم .. وهو يسعى وراء حياة أفضل لكما .

قالت (ميرفت) منتحبة :

- هل تصدقين ما كتبه فى رسالته يا أمى ؟ إنه إنسان كاذب وأنانى .

مسحت الأم بيدها على شعر ابنتها قائلة :

- إنه يحبك .

- لو كان يحبنى حقًا .. ما كان قد تركنى ورحل هكذا .

- إنه ليس أول شاب يسافر سعيًا وراء الرزق والمستقبل .

- بل سعيًا وراء أطماعه وأنانيته .. لقد خدع حتى الرجل الذى رباه وأنفق عليه وعلى تعليمه .. استولى على نقوده بدعوى شراء حجرة نوم لنا ، ثم استخدمها فى السفر دون أن يخبرنى أو يخبر أحدًا ..

- لأنه كان يعرف أنكما ستعارضان مسألة سفره هذه .

- كيف تلتمسين له الأعذار يا أمى ؟ برغم أنه أساء إلىَّ أمام الجميع هكذا ؟ كما أساء إلى جده أيضًا .

- لأننى أقدر موقفه وإن كنت أعترض على تصرفه .. أنت أيضًا عليك أن تقدرى موقفه يا بنيتى .. وأن تتذرعى بالصبر كما طلب منك حتى تتجلى الأمور بالنسبة له ، فإذا نجحت تجربة السفر هذه بالنسبة له .. فأنا واثقة أنه سيفى بوعده لك .. أما إذا فشلت

فإنه يكون على الأقل قد نال فرصته دون أن يلقى باللوم على زواجه منك .

- وأنا من يقدر موقفى ؟ أنت تعرفين الناس هنا .. ماذا ستكون نظرتهم لى بعد أن تركنى ورحل هكذا دون سابق إنذار ، وبعد أسبوعين فقط من الخطبة ؟

وما هى حدود الصبر الذى يتعين علىَّ أن أتذرع به حتى يحقق ما يريده ؟ ثم يتعطف علىَّ بالزواج منى ؟ سنة .. سنتين .. ثلاثًا .. عشر سنوات ؟

- الناس لا شأن لهم بنا .. وحتى لو تكلموا .. فماذا سيقولون ؟ إن خطيبك سافر إلى الخارج لإكمال تعليمه وتأمين مستقبله .. وهذا شىء مشروع ويمكن تبريره ، أما عن مسألة فترة الانتظار التى يتعين عليك أن تنتظريه خلالها ، فهذا هو الشىء الذى يتعين أن تحدديه معه .. حينما يرسل إليك

رسالته الثانية .. وبمجرد أن يحدد لك مكان إقامته فى أمريكا .

قالت (ميرفت) وعيناها مغرورقتان بالعبرات :

- لقد جرح (عماد) كرامتى بشدة .. بتصرفه هذا .

قالت الأم وهى تضم رأس ابنتها إلى صدرها فى حنان :

- لاتبالغى فى أحاسيسك هذه يابنيتى .. فكرامتك مازالت فى الحفظ والصون .

- أتظنين أننى أستطيع أن أثق به بعد اليوم ؟

تنهدت الأم قائلة :

- علينا أن نثق به حتى يثبت لنا العكس .

حاولت الأم أن تهدئ من مشاعر ابنتها ، وأن تخفف من مخاوفها ، لكن الحقيقة التى أخفتها عنها .. هى أنها لم تكن لديها تلك الثقة التى حاولت أن تثبتها فى نفس ابنتها تجاه (عماد) .

فالشخص الذى لايضع اعتباراً للرجل الذى رباه وهو فى هذه المرحلة المتقدمة من العمر ويخدعه على هذا النحو ، ولايفكر فى كرامة الفتاة التى خطبها ، وصورتها أمام أهلها وأهل بلدتها بعد رحيله المفاجئ على هذا النحو .. لايستحق أن يكون جديراً بالثقة مهما كانت دوافعه للإقدام على مثل هذا التصرف .

* * *



٩ ـ بلاد الأحلام ..

عاد الدكتور (نافع) إلى منزله فى ولاية (فيرجينيا) بالولايات المتحدة الأمريكية ، وبصحبته ابنته بعد إجازة قصيرة قضاها فى فرنسا معها ..

وما إن فتح باب المنزل حتى التفت إلى ابنته الشابة قائلاً :

ـ مرحبًا بك مرة أخرى فى (فيرجينيا) .

ضحكت الفتاة قائلة وهى تحنى رأسها بطريقة مسرحية :

ـ شكرًا لك يا أبى العزيز .

ابتسم الأب قائلاً :

ـ هل استمتعت بالإجازة على الطريقة الفرنسية ؟

قالت الفتاة فى مرح :

ـ استمتعت بها للغاية يا أبى .. هل تعرف أجمل ما فى هذه الإجازة ؟

ـ ما هو ؟

ـ أننى استطعت أن أنفرد بك أسبوعين كاملين .. بعيدًا عن المعامل ومراكز الأبحاث والمؤتمرات العلمية .. إلخ .. إلخ .. إلى آخر تلك الأشياء التى تحرمنى منك طوال العام .

ـ يا (نورا) يا حبيبتى .. أنت تعرفين أن أباك أستاذ فى الأبحاث الجيولجية وعلوم الفضاء .. والبعض يعدونه هنا من العلماء المعدودين فى هذا المجال .. لذا فمن الطبيعى أن أكون مشغولاً عنك لبعض الوقت .

عقدت ذراعيها فوق صدرها قائلة بدلال :

ـ بعض الوقت .. قل معظم الوقت .

ـ على أية حال لديك أصدقاء كثيرون .. وأنشطة متعددة يمكن أن تعوضك عنى .

أحاطت عنقه بذراعيها قائلة :

ـ لاشىء يمكن أن يعوضنى عنك يا أجمل وأرق أب فى الدنيا .

قال لها مداعبًا :

ـ يا خبيثة .. هيا اصعدى لحجرتك لتبدلى ثيابك .

سألته قائلة :

ـ وأنت ؟

ـ سأطلع على جهاز الرد على المكالمات .. لأرى إذا ما كانت هناك رسائل هاتفية قد تم تسجيلها فى أثناء غيابنا أم لا .. وبعدها أتصل بأحد المطاعم لأطلب عشاءً خفيفًا لنا .

ونزع عنه السترة التى يرتديها وهو يجلس بجوار جهاز الرد على المكالمات ، ليديره مستمعًا إلى المكالمات الهاتفية التى تم تسجيلها فى أثناء غيابه ، وما لبث أن جذبت اهتمامه إحدى المكالمات ، حيث سمع صوت (عماد) وهو يتحدث إليه قائلاً بلهجة مصرية :

ـ صباح الخير يا دكتور (نافع) .. لقد اتصلت بك أكثر من مرة لكنى لم أجدك . وأخيرًا عرفت أنك مسافر فى إجازة إلى فرنسا . بالطبع أنت لاتعرف من الذى يتصل بك .. وستندهش حينما تعرفه ..

أنا (عماد) .. (عماد منصور) .. الطالب الذى التقيت به فى كلية العلوم حينما حضرت لزيارة كليتنا فى القاهرة منذ ثمانية أشهر وتناقش معك فى إحدى نظرياتك العلمية بشكل جيد .. مما جذب انتباهك إليه فكان لى الشرف أن تنفرد بى فى نهاية المحاضرة وتتحدث إلىّ قائلاً إنه ينتظرنى مستقبل باهر فى المستقبل .. وإنه يمكن أن أكون أحد العلماء المتميزين .. لو واظبت على البحث والدراسة .. وتوافرت لى الإمكانيات الضخمة التى تتوافر للباحثين والعلماء فى دولة مثل الولايات المتحدة .

يومها تجرأت وسألتك .. إذا ما استطعت أن أسافر إلى أمريكا يومًا ما .. فهل تقبل أن أكون أحد تلاميذك ؟ فقلت لى : إنه يسعدك ذلك . ولا أدرى إذا كنت تعنى ما قلته وقتها حقًا .. أم أن الأمر كان مجرد تشجيع ومجاملة .

على أية حال .. هأنذا قد جئت إلى أمريكا .. وسوف أعاود الاتصال بك مرة أخرى لأعرف ردك .

ابتسم الدكتور (نافع) وهو يستمع إلى هذه المكالمة، ثم مالبث أن أبدى اندهاشه قائلاً :

- يبدو أن هذا الشاب لديه إصرار وطموح غير عادى .

وبعد ثلاثة أيام من عودة الدكتور (نافع) وابنته إلى أمريكا ، كانت (نورا) مستغرقة فى الرقص على نغمات الموسيقى الصاخبة التى تنبعث من جهاز التسجيل فى الردهة .. حينما رن جرس الباب .

وتوجهت مدبرة المنزل لفتح الباب ، حيث أطل (عماد) من ورائه .. قائلاً لها :

- مساء الخير .. الدكتور (نافع) موجود ؟

أجابته مديرة المنزل قائلة :

- كلا إنه ليس هنا الآن .

قال (عماد) وهو يلقى نظرة سريعة على الفتاة المستغرقة فى الرقص :

- متى يمكننى أن ألتقى به ؟

هزت كتفيها قائلة :

- لا أدرى .. ليس له مواعيد محددة .. على أية حال يمكن أن تترك له رسالة ، وتترك معها رقم الهاتف .. وسوف أخبره ليتصل بك .

قال لها مرتبكًا :

- فى الحقيقة أنا ...

صاحت (نورا) وهى مستغرقة فى الرقص قائلة :

ـ من يا (كاترين) ؟

سألته مديرة المنزل قائلة :

ـ من أنت ؟

ـ (عماد منصور) .

توجهت مديرة المنزل إلى الفتاة لتخبرها باسمه .. فأغلقت جهاز التسجيل ، وتوقفت عن الرقص لتتجه إليه وهى تتصبب عرقًا قائلة :

ـ لقد أخبرتنى (كاترين) أن اسمك (عماد منصور) .

هز رأسه قائلاً :

ـ نعم .

ـ أنت مصرى على ما يبدو .

ابتسم لها قائلاً :

ـ ماذا ترين ؟

قالت له وهى تتأمله بشىء من الفضول :

ـ هل هناك ميعاد سابق بينك وبين أبى ؟

ـ فى الحقيقة لا .. لكنى أرغب فى مقابلته .

ـ تفضل .

ـ شكرًا .. سأحضر فى وقت آخر .

سألته وهى تحدق فيه بجرأة قائلة :

ـ هل تجيد الرقص ؟

اندهش لسؤالها قائلاً :

ـ أفندم ؟

هزت كتفيها بلا مبالاة قائلة :

ـ لا شىء .. على أية حال إن أبى سيكون موجودًا فى المنزل الساعة الخامسة مساء .

سألها باهتمام قائلاً :

ـ هل أنت متأكدة ؟

ـ بالطبع .

ـ إذن .. سأحضر له فى هذا الموعد .

لكنه تدارك الأمر قائلاً :

ـ أم أنه يتعين على أن أتصل به قبل حضورى ؟

قالت له بنفس النبرة اللامبالية :

ـ أظن أنه يتعين عليك أن تفعل ذلك .

قال لها وهو يستعد للانصراف :

ـ حسن .. سأفعل .. شكرًا لك .

راقبته وهو ينصرف وقد تحولت لامبالاتها إلى شىء من الاهتمام ، فقد بدا مختلفًا فى مظهره وفى حديثه عن كل الأصدقاء الذين تعرفهم هنا .. كما أن

نبرته وحديثه يذكرانها بمصر .. البلد الذى عاشت فيه طفولتها . والذى يصر أبوها على ألا تنساه مطلقًا .. كما يصر على أن يكون الحديث بينهما داخل المنزل باللهجة المصرية .. حتى لا تتلاشى من ذاكرتها لغة الوطن الأم .. وكان يخبرها دائمًا أن عليها ألا تنسى وطنها الأصلى مهما حدث .. ومهما كانت الظروف ، برغم أن كليهما قد حصل على الجنسية الأمريكية منذ سنوات طويلة .

وعندما عاد الأب إلى المنزل .. أخبرته ابنته وهما جالسان إلى المائدة يتناولان الغداء قائلة :

ـ لقد حضر (عماد) لمقابلتك .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ (عماد) .. (عماد) من ؟

ـ لا أدرى .. لقد قال إن اسمه (عماد مدكور) .. (عماد مشهور) .. شىء من هذا القبيل .. وقال إنه جاء من مصر .

ابتسم الأب قائلاً :

- آه .. لابد أنه ذلك الطالب الذى التقيت به حينما قمت بزيارة كلية العلوم فى جامعة القاهرة .. منذ ثمانية أشهر .

سألته (نورا) قائلة :

- من هذا الشاب يا أبى ؟

- لقد كان طالبًا فى السنة الرابعة بكلية العلوم فى مصر .. ناقشنى فى بعض الأبحاث العلمية الخاصة بى .. وفى الحقيقة كان مدهشًا .. وسرعان ما تبينت أنه متميز عن أقرانه .. وأن لديه استعدادًا غير عادى ليكون أحد العلماء المتميزين فى المستقبل .

قالت له الفتاه ضاحكة :

- مثلك هكذا يا أبى .

ابتسم الأب وهو يواصل حديثه قائلاً :

- لقد أخبرته يومها أنه بحاجة لتوافر بعض الإمكانيات العلمية المماثلة . لتلك التى توجد هنا فى أمريكا .. لكى يبرز قدراته .

فسألنى عما إذا كنت مستعدًا لتبنيه علميًا .. إذا ما حضر إلى أمريكا .

- وطبعًا قلت له إنه لا مانع لديك من ذلك .

- وماذا كنت تريدين أن أقول له ؟ طبعًا قلت له إنه لا مانع لدى ..

ويبدو أنه قد أخذ الأمر بشكل جدى .. فانتظر حتى أنهى دراسته وجاء إلى هنا ليطالبنى بالوفاء بوعدى .

- وطبعًا تنوى الوفاء بوعدك له .

- ولم لا ؟ لا تنسى أنه مصرى مثلنا .. كما أننى أرى فيه شبابى .

- إننا أمريكيان يا أبى .

قال لها غاضبًا :

- بل مصريان فى المقام الأول .. إياك أن تنسى أصلك .. كما لاتنسى أننا نحتفظ بالجنسية المصرية بجانب الجنسية الأمريكية .. من ليس له أصول ليس له فروع .

ضحكت (نورا) قائلة :

- حسن .. حسن .. إننى أعرف رأيك جيدًا فى هذا الأمر .. وعلى أية حال .. أنا معجبة بك كثيرًا يا أبى .. فأنت لاتبخل أبدًا بالمساعدة على من يريدها .. وهذه صفة لا تتوافر كثيرًا فى الرجال الأمريكيين .

* * *



١٠ - الغاية .. والإرادة ..

استقبلته (نورا) هذه المرة بترحيب وبشاشة ، وقد حرصت على ارتداء أجمل ثيابها قائلة :

- أهلاً .. أهلاً .. مستر (عماد) .. إن أبى فى انتظارك .

أربكه ترحيبها .. وجمالها الذى جذب انتباهه منذ أول وهلة .

كما زاد من ارتباكه أنها أمسكت بيده لتصطحبه إلى مكتب أبيها ، وهى تعلن عن قدومه قائلة :

- أبى .. ها هو ذا مستر (عماد) قد حضر .

رحب به الدكتور (نافع) وهو يصافحه قائلاً :

- أهلاً بك فى أمريكا .

- شكرًا لك يا دكتور .

- لقد سمعت مكالمتك وكنت فى انتظار حضورك .

- أرجوا ألا أكون قد أثقلت عليك .

وضع الدكتور (نافع) يده على ظهر (عماد) وهو يشير له بيده ليجلس على أحد المقاعد .. قائلاً :

- ما هذا الذى تقوله ؟ إننى سعيد للقائك .

جلس (عماد) محرجًا وقد جلس الدكتور (نافع) فى المقعد المجاور بينما سألته (نورا) مبتسمة :

- ماذا تشرب ؟

قال لها متلعثمًا :

- لا .. لا شىء .

- دعك من هذا الحرج يا بنى .. لابد أن تشرب شيئًا .

سألته (نورا) :

- ما رأيك فى كوب من عصير الفواكه الأمريكية ؟ إنه مشروبى المفضل .

- لا مانع .

- سأعده لك بنفسى .

ابتسم الدكتور (نافع) قائلاً :

- على فكرة .. مديرة المنزل هى المسئولة عن تقديم المشروبات هنا .

وما دامت ابنتى تريد أن تعد لك العصير بنفسها فهذا يعنى أنك قد أصبحت شخصًا مهمًا بالنسبة لها .

زاد إحساسه بالحرج وهو يستمع لهذا الإطراء ، بينما راقبته الفتاة مبتسمة قبل أن تستعد لمغادرة الحجرة قائلة :

- سأذهب لإحضار العصير .

وما إن انصرفت حتى التفت الدكتور (نافع) إلى (عماد) قائلاً :

- قل لى .. كيف استطعت الحصول على تأشيرة دخول إلى أمريكا برغم صعوبة ذلك ؟

- لقد التحقت للدراسة فى إحدى الجامعات هنا ، بعدها تقدمت بطلب للسفارة الأمريكية وقدمت ما يثبت موافقة الجامعة على التحاقى بها والدراسة فى أمريكا .. فوافقوا على منحى التأشيرة .

- إذن فأنت تنوى إكمال دراستك هنا .

- نعم .. لقد جئت من أجل الحصول على الدكتوراه .

- لابد أنك حصلت على تقدير كبير فى البكالوريوس .

- حصلت على (امتياز) .. وكنت ثانى الدفعة .

- ما شاء الله .. شخص غيرك كان قد وفر على نفسه المتاعب والتحق بوظيفة معيد .. ثم أكمل دراسته فى نفس الجامعة التى تخرج فيها ..

ابتسم (عماد) قائلاً فى سخرية :

- على أى حال .. الوظيفة كانت محجوزة لغيرى .

- ولهذا جئت إلى أمريكا ؟

- كلا يا دكتور .. حتى لو عرضوا علىّ هذه الوظيفة .. كنت سأرفضها وآتى إلى أمريكا .. فطموحى أكبر من ذلك بكثير .

ابتسم الدكتور (نافع) قائلاً :

- هذا ما قلته لابنتى .. إنك تذكرنى بشبابى .. فقد فعلت مثلك تمامًا .

- لابد أن الإمكانيات الضخمة المتوافرة هنا .. هى التى جعلت منك أحد العلماء المعدودين فى مجال الجيولجيا الكونية .

- بالطبع .. لكن لا أستطيع أن أنسى فضل أساتذتى علىّ فى مصر ، فهم الذين وضعوا أقدامى على أول الطريق .

وفى تلك اللحظة دخلت (نورا) وهى تحمل كوب العصير .. لتقدمه إلى (عماد) .

حيث اقتربت منـه بوجهها وهى تقدم له العصير قائلة له بصوت هامس :

ـ تفضل .

تناول منها كوب العصير بيد مرتجفة وقد حرك عبيرها مشاعره ، وأعاد إليه حالة الارتباك والتوتـر التى كان عليها .. فقال لها بصوت متعلثم :

متـ ... متشكر .

قالت بنعومة :

ـ هل قطعت عليكما الحديث ؟

قال الدكتور (نافع) :

ـ لقد كنت أحدث (عماد) عن إحساسى بأنـه يكرر تجربتى .. عندما غادرت مصر وجئت لأمريكا لأواصل دراستى وعملى هنا .

ثم أشار لها قائلاً :

ـ اجلسى يا (نورا) .

قالت (نورا) :

ـ سأترككما لتتحدثـا علـى راحتكمـا وأجلس فـى الردهة لأطلع على بعض المجلات .

ـ كما تريدين يا حبيبتى .

ثم عاد لاستئناف حديثه مع (عماد) قائلاً :

ـ وما هى الجامعة التى التحقت بها هنا ؟

قال (عماد) :

ـ إنها نفس الجامعة التى تدرس بها .

ـ حقًا ؟ هذا يعنى أنك قد تكون أحد تلاميذى .

ـ بل هذا ما أريده على وجـه التحديد .. أريد أن أكون تحت إشرافك فى الدراسات العليا التى أجريهـا هنـا .

ـ وأنا أرحب بذلك .. خاصة أنك ستكون أول طـالب مصرى أتولى الإشراف عليه هنا .

ـ بالنسبة لى .. فهذا حلم تمنيته .. والحمد للَّه بموافقتك يكون قد تحقق أول أحلامى .

ابتسم الدكتور (نافع) قائلاً :

ـ يبدو أن لديك الكثير من الأحلام .

قال (عماد) وفى عينيه نظرة شرود :

ـ ولهذا جئت إلى هنا .. ألا يقولون إن أمريكا هى أرض الأحلام ؟

ـ الأحلام يحققها رجال يؤمنون بما يريدونه ، ويصرون على تحقيقه حتى يتحول الحلم إلى حقيقة .

لابد أن يكون لك هدف محدد .. وأن تكون لك الإرادة لتحقيقه مهما كانت العوائق أو المغريات ، حتى تصل إلى الغاية التى تريدها فى النهاية .

وهذا كلام سهل نظريًا .. لكنه صعب جدًا عمليًا .. خاصة هنا حيث المنافسة شديدة والمغريات عديدة .. وأظن أنك تفهمنى .

ـ أفهمك جيدًا يا دكتور .

ـ بدون هذا تصبح الأحلام أوهامًا .. وأحيانًا كوابيس مزعجة .

ـ إننى مؤمن بما تقوله تمامًا .. وهو لا يختلف كثيرًا عن منهجى فى الحياة .

ـ وهذا ما أحسه فيك .. وما يجعلنى متحمسًا لك .. برغم أننى لا أعرف الكثير عنك .

ـ تأكد أننى سأكون تلميذك النجيب يا دكتور (نافع) .

ـ بالمناسبة .. أريد أن أسألك سؤالاً ولو أنك قد تعتبره تدخلاً منى فى أمورك الشخصية .

ـ تفضل يا دكتور .

ـ هل دبرت المصاريف الكافية لمعيشتك ودراستك هنا ؟ أنت تعرف أن الحياة هنا مختلفة عن مصر .. وتكاليف المعيشة والدراسة هنا مكلفة كثيرًا .

قال (عماد) متحرجًا :

ـ فى الحقيقة لقد استطعت أن أحصل على غرفة صغيرة فى أحد الفنادق المتواضعة ، وإن كانت بعيدة بعض الشىء عن الجامعة .

واستطعت أن أدبر ثمن الحجرة من خلال العمل فى الفندق نفسه .

ـ وماذا تعمل فى الفندق ؟

قال له (عماد) متحرجًا :

ـ فى المطبخ .. أغسل الصحون والأوانى .

ابتسم الدكتور (نافع) وهو ينظر إليه قائلاً :

ـ ولماذا تبدو محرجًا هكذا ؟ لقد عملت أعمالاً أكثر تواضعًا عندما جئت لأمريكا فى البداية .. وأحيانًا كنت أنام فى الحدائق وفوق أرصفة القطارات فى ظروف مناخية قاسية .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

ـ المشكلة هى أنه إذا كان عملك فى هذا الفندق المتواضع يكفى لتدبير ثمن الحجرة التى تقيم بها .. فماذا عن بقية مصاريف طعامك وثيابك .. ودراستك ؟

ـ لقد أحضرت معى مبلغًا بسيطًا أرجو أن يعيننى فى البداية على مواجهة هذه المصاريف .

ـ وماذا بعد أن ينفد هذا المبلغ ؟ اعذرنى يا بنى .. لكنى أشعر بأن قلبى قد تفتح لك .. كما أنك تذكرنى بالظروف الصعبة التى مررت بها ، خاصة وأنك مصرى مثلى .

ـ فى الحقيقة لا أعرف يا دكتور .

فكر الدكتور (نافع) قليلاً .. ثم قال :

ـ أظن .. أن لدى حلاً لمشكلتك .

* * *



١١ـ فرصة العمر ..

سأله (عماد) :

ـ وما هو يا دكتور ؟

سأرشحك لكى تعمل معى مساعداً فى مركز الأبحاث الذى أعمل به .. وهذا العمل سيفيدك لأنه سيوفر لك تواجداً دائماً معى فضلاً عن أنه يدخل فى صميم تخصصك العلمى .. فيكون بمثابة عمل ودراسة فى آن واحد .

فضلاً عن أنك ستحصل على راتب مجز .. بالنسبة لشاب مبتدئ هنا ..

تهلل وجه (عماد) بالفرحة قائلاً :

ـ سيكون هذا جميلاً لن أنساه لك طوال العمر يا دكتور .

ـ انتظر .. بذلك نكون قد حللنا مشكلة العمل .. نأتى

لمشكلة الإقامة .. إن لدى غرفة خاصة بى فى مركز الأبحاث .. غرفة معيشية .. بها سرير ودولاب وهاتف وتلفزيون ، وسائر الكماليات الضرورية .. وذلك للإقامة بها إذا ما أضطرتنى الظروف للمبيت فى المركز .. أو كان لدى عمل مهم يقتضى الإقامة هناك لبضعة أيام .. وذلك حسب النظام المتبع فى مركز أبحاث (فيرجينيا) .

لكنى غالبًا لا أبيت هناك إلا للضرورة القصوى .. فمنزلى قريب من مركز الأبحاث .. يمكننى الذهاب والعودة فى أى وقت من الليل أو النهار للمركز . لذا يمكننى السماح لك بالإقامة فى هذه الحجرة طوال فترة دراستك .

هب (عماد) واقفًا وقد هزه هذا الكرم الشديد الذى لم يتوقعه قائلاً :

ـ ولكن .. هذا كثير .. كثير جدًا يا دكتور .

أشار له الدكتور (نافع) بالجلوس .. قائلاً :

ـ إننى لن أضن بمساعدة على أحد أبناء بلدى .. خاصة إذا ما كنت أتوسم فيه النبوغ .. ففى النهاية هذا شىء يشرفنى ويشد من أزرى هنا ..

كما أننى قلت لك : إن قلبى انفتح لك .

وأنهى الدكتور (نافع) المقابلة قائلاً :

ـ تعال إلى مكتبى غدًا فى الكلية .. لنتفق على كافة التفصيلات الخاصة ببحثك .. وبعدها سأصحبك معى إلى مركز الأبحاث لأطلعك على طبيعة العمل هناك .

صافحه (عماد) بحرارة قائلاً :

ـ متشكر .. متشكر جدًا يا دكتور !

كانت (نورا) جالسة فى الردهة تطلع على إحدى المجلات ، عندما رأته وهو يغادر حجرة أبيها .. فأسرعت بمغادرة مقعدها لتندفع نحوه قائلة :

ـ لم الاستعجال يا مستر (عماد) ؟ ألا تبقى معنا قليلاً ؟

قال لها أبوها مداعبًا :

ـ دعك من كلمة (مستر) هذه .. ف (عماد) مصرى مثلنا .. نادية باسمه مجردًا .

قال لها (عماد) وهو يحاول تجنب نظراتها الجريئة إليه :

ـ أشكرك على كرم الضيافة يا آنسة (نورا) .

ـ ما دمت سأناديك بـ (عماد) .. فيجب أن تنادينى بـ (نورا) .. (نورا) فقط .

هل أعجبك العصير الذى أعددته ؟

ـ إنه .. إنه رائع .. تصبحون على خير .

راقبته وهو ينصرف .. ثم التفتت إلى ابيها قائلة :

ـ أرى أنك معجب به يا أبى .

ـ إنه شاب يستحق الإعجاب .. من الواضح أن طموحه سيوصله إلى مستقبل لامع هنا .

ضحكت الفتاة قائلة :

ـ هل سيكون مثلك يا أبى ؟

ابتسم لها قائلاً :

ـ من يدرى ؟ ربما فاقنى فى المستقبل .

تعلقت بذراعه قائلة :

- إلى هذا الحد أنت متحمس له ؟

- أنت تعرفين أن لدى حاسة سادسة .. خاصة تجاه الأشخاص .

- لكن .. ماذا ينوى أن يفعل هنا ؟

- سيكمل دراسته العليا تحت إشرافى .. وسيكون مساعدًا لى فى مركز الأبحاث .. كما أننى اتفقت معه على أن يقيم فى غرفتى بالمركز حتى يمكنه تدبير أمره بشأن الإقامة فى (فيرجينيا) ..

قالت الفتاة بخبث :

- لا .. المسألة ليست مسألة حاسة سادسة .. من الواضح أن هذا الشاب خطير للغاية .. فقد استطاع أن يستحوذ على ثقتك فى فترة قصيرة .. حتى جعلك تقدم له كل هذه التسهيلات التى يحلم بها الكثيرون .

- ستثبت لك الأيام صدق فراستى بشأن هذا الشاب .

★ ★ ★

انقضت سبعة أشهر منذ حضور (عماد) إلى (فيرجينيا) .. استطاع خلالها أن يثبت كفاءته فى عمله ودراسته ، على نحو استحوذ على إعجاب الدكتور (نافع) .. مما جعله يزداد ثقة بحكمه الأولى عنه .. ويزداد تشجيعًا له .. دون أن يضن عليه بثمرة خبرته .

ولم يكن الدكتور (نافع) وحده هو الذى يعجب بـ (عماد) .. بل كانت ابنته معجبة به أيضًا .

فقد بدا لها نموذجًا مختلفًا عن أصدقائها من الشباب الذين عرفتهم هنا فى هذا المجتمع المفتوح .

فقد كان أكثر تحفظًا وجدية .. كما أنه كان وسيمًا .. ولديه ملامح مصرية صميمة . تميزه عن أولئك الذين اعتادت أن تراهم هنا .

وفى إحدى الليالى بعد أن أنهى (عماد) عمله فى المركز ، توجه إلى الغرفة التى سمح له الدكتور (نافع) بالإقامة بها .. ليستكمل كتابة بحثه .. وقد أحاط نفسه بعدد من المراجع الضخمة .

وبينما هو مستغرق فى الاطلاع على أحد هذه المراجع ، رن جرس الهاتف فى غرفته .

فتوقف عن متابعة الاطلاع قائلاً لنفسه :

ـ ترى من المتحدث ؟ ربما كان الدكتور (نافع) .

تناول الهاتف فسمع صوتًا نسائيًا يتحدث إليه بالإنجليزية قائلاً :

ـ مستر (عماد) .

ـ نعم .

قالت له صاحبة الصوت النسائى ؟

ـ ماذا تفعل عندك ؟

قال لها مندهشًا :

ـ ماذا أفعل عندى ؟ وما شأنك أنت بذلك ؟ من الذى يحادثنى ؟

قالت له محدثته بعجرفة :

ـ من شأنى أن أسألك عما تفعله .. لكن ليس من شأنك أن تعرف من أنا .. فأنا التى تطرح الأسئلة وليس أنت .

قال لها (عماد) منفعلاً :

ـ ومن حقى ألا أرد على أسئلتك .. مادمت لا أعرف من أنت ؟ ومادمت تتحدثين بهذا الأسلوب .

ووضع سماعة الهاتف معاودًا استئناف أبحاثه ..

لكنه لم يلبث أن سمع رنين الجرس مرة أخرى .. فتناول السماعة ليضعها على أذنه .. حيث سمعها تتحدث إليه بنفس النبرة المتغطرسة قائلة :

ـ كيف تجسر على إغلاق سماعة الهاتف فى وجهى ؟

ـ من فضلك .. أنا مشغول وليس لدى وقت لهذا العبث .

ـ وأنا أيضًا مشغولة ولدى ارتباطات أخرى .

ـ ماذا تريدين ؟

عادت لتقول له بطريقة استفزازية :

ـ أريد أن أعرف .. ماذا تفعل عندك ؟

صاح قائلاً :

ـ وما شأنك أنت بما أفعله ؟

لكن الدهشة والارتباك لم تلبث أن ارتسمت على وجهه ، حينما تحول حديث الفتاة من اللكنة الأمريكية إلى اللهجة المصرية الصميمة ، بعد أن أطلقت ضحكة عالية قائلة :

ـ حسن .. لا داعى لأن تكون عصبيًا هكذا .. لن ألح عليك بالسؤال .

ارتبك (عماد) قائلاً :

ـ من المتحدث ؟

ضحكت مرة أخرى قائلة :

ـ ألم تعرفنى بعد ؟

قال لها وقد ازداد ارتباكًا :

ـ فى الحقيقة أنا ..

خلصته من حيرته قائلة :

ـ أنا (نورا) .. ابنة الدكتور (نافع) .

قال لها مضطربًا :

ـ آنسة (نورا) .. أنا آسف .. آسف جدًا !

ـ آسف .. لماذا ؟ أنا التى داعبتك .. ثم ألم نتفق على أن نخاطب بعضنا .. دون (أستاذ) أو (آنسة) هذه ؟

ـ فى الحقيقة .. كان من الصعب علىّ أن أتبين أنك أنت التى تحادثيننى .

ـ طبعًا .. فهذه هى المرة الأولى التى أحادثك فيها هاتفيًا .

وانتظرت منه أن يبدى تعليقًا .. لكنه ظل صامتًا وهو لا يدرى ما الذى يتعين عليه أن يقوله .

فتابعت حديثها قائلة :

ـ وهذه هى المرة الأولى التى أحادثك فيها باللكنة الأمريكية أيضًا .

ـ فى الحقيقة أنت تتحدثين بهذه اللكنة كما لو كنت أمريكية بالفعل .

ـ إننى أمريكية بالفعل .. فقد جئت إلى أمريكا وعمرى ثمان سنوات .

ـ لكن هذا لم يؤثر على سلامة لهجتك المصرية .

ـ الفضل فى هذا يعود إلى أبى .. الذى يصر على أن نتحدث معًا باللغة العربية وباللهجة المصرية .

واستطردت قائلة :

ـ لماذا لم أعد أراك كثيرًا فى منزلنا كما كنت تفعل من قبل ؟

ـ لقد كنت لديكم الأسبوع الماضى فقط .

ـ لقد اعتدت أن أراك مرة أو مرتين على الأقل كل أسبوع . هل أقول لك شيئًا ؟ لقد أوحشتنى .

أحس بالارتباك واهتزت السماعة فى يده لدى سماعه ذلك .. ولم يجد ما يقوله .. فعادت لتتحدث إليه قائلة :

ـ (عماد) .. أمازلت معى على الخط ؟

قال لها متلعثمًا :

ـ بـ .. بلى ..

ـ إنك لم ترد على سؤالى .. ماذا تفعل عندك ؟

ـ أنا .. أنا مستغرق فى إعداد البحث ومطالعة بعض المراجع .

قالت له متبرمة :

ـ ألا يوجد ما تفعله .. سوى العمل والدراسة ؟

- وماذا سأفعل غير ذلك ؟

- أشياء كثيرة يمكن أن تفعلها هنا .. أنت فى أمريكا .. هل نسيت ذلك ؟

- لقد جئت إلى أمريكا من أجل العلم والدراسة .

- لا بأس بذلك .. لكن هذا لا يعنى أن تظل حياتك محصورة بين العمل والدراسة .. يجب أن تتمتع بمباهج الحياة هنا .. وأن تروح عن نفسك من آن لآخر .

- فى الحقيقة .. إن ظروفى ...

قاطعته قائلة :

- دعك من مسألة الظروف هذه .. اسمع .. إننى سأركب سيارتى وآتى إليك خلال نصف ساعة .. وعليك أن ترتدى ثيابك وتستعد لمقابلتى بالقرب من الباب الرئيسى لمركز الأبحاث .

اندهش (عماد) لهذه الدعوة المفاجئة .. وللجرأة التى تتحدث بها الفتاة .. فحاول أن يعتذر قائلاً :

- لاداعى لأن تكلفى نفسك مشقة الحضور إلى هنا .. فالوقت لايسمح .. والبحث الذى أكتبه ..

قاطعته مرة أخرى قائلة :

- لن أقبل منك أية أعذار .. هيا أعدّ نفسك لمقابلتى .

ووضعت سماعة الهاتف .. دون أن تمنحه أى فرصة أخرى للتردد .

* * *



١٢ـ عاطفة محيرة ..

فتحت باب السيارة وهى تدعوه للركوب قائلة :

ـ هيا .. تعال .

جلس بجوارها وهو مأخوذ بحيويتها ، وأنوثتها التى احتوته سريعًا ..

ابتسمت وهى تنظر إليه قائلة :

ـ هل تأخرت عليك ؟

ـ كلا .. لقد جئت قبل أن ينقضى نصف الساعة الذى حددته .

كانت تقود سيارتها بسرعة غير عادية .. جعلته يضطرب .. لكنه أخفى اضطرابه قائلاً :

ـ إلى أين سنذهب ؟

ـ ما رأيك لو ذهبنا إلى أحد أندية الرقص ؟

قال لها بدهشة :

ـ الرقص ؟

ـ نعم .. سنرقص معًا أحدث الرقصات الأمريكية .

ـ لكن .. لكننى لا أعرف الرقص .

نظرت إليه باستغراب قائلة :

ـ حقًا ؟ على أية حال سأعلمك .

قال لها (عماد) سريعًا :

ـ كلا .. إننى أفضل الذهاب لأى مكان آخر .

ابتسمت (نورا) قائلة :

ـ لاتحكم على شىء قبل أن تراه .. تعال معى إلى (الديسكو) أولاً .. فإذا لم يعجبك نذهب إلى مكان آخر .. أوكى ؟ اتفقنا ..

ولم تمنحه الفرصة لإبداء موافقته .. فقد انطلقت بسيارتها فى طريقها إلى المرقص .

ووجد (عماد) أن لها أصدقاء عديدين .. فى المرقص .. أخذوا يحيونها وهى تبادلهم التحية بشقاوة ومرح .

كان هذا هو الجانب الآخر من أمريكا الذى لم يره من قبل .. حيث الحرية مطلقة وبلا حدود .

فقد حصر اهتمامه وتركيزه منذ مجيئه إلى أمريكا فى البحث والدراسة والعلم والعمل . أما هذه الأجواء المختلفة ؛ والحياة بهذا الأسلوب الغريب بالنسبة لشاب ذى جذور ريفية ؛ فقد بدا له غريبًا ومحيرًا .. بقدر ما كان مبهرًا ..

سألته (نورا) وهى تقوده إلى إحدى الموائد قائلة :

- هه يا (عماد) ما رأيك فى المكان ؟

- إنه صاخب بعض الشىء .

ضحكت قائلة :

- بالطبع .. إنه ديسكو .. لذا يجب أن يكون صاخبًا .

سألها بصوت خافت قائلاً :

- الدكتور (نافع) .. يعرف أننا .. أقصد .. هل لديه فكرة عن أننا سنتقابل .. وأننا .. سنأتى إلى هذا المكان ؟

مطت شفتيها قائلة باستخفاف :

- فى الحقيقة لا .. إن أبى فى نيويورك اليوم لحضور أحد المؤتمرات .. ولن يأتى قبل يومين .

- نعم .. أعرف ذلك .. لكنى .. أقصد .. هل لديه علم بأننا سنتقابل ؟ ألا يمانع .. لو عرف .. أننا من الممكن أن نخرج معًا .. ونأتى إلى مكان كهذا ؟

نظرت إليه بدهشة تمتزج بالسخرية قائلة :

- لماذا تبدو مضطربًا هكذا ؟ إن أبى لا يبدو شخصًا مخيفًا إلى هذا الحد .

- بالطبع .. لكنى أخشى أن يثير خروجنا معًا غضبه .. وربما اعترض ..

قاطعته قائلة وهى تمسك بيده لتحمله على النهوض معها :

ـ هيا .. هيا .. لاتدع الوقت يضيع فى الثرثرة .. دعنى أعلمك الرقص .

قال لها وهو يتصبب عرقًا :

ـ لا .. معذرة .. لقد قلت لك إننى لا أستطيع الرقص .

قالت له بإصرار :

ـ وأنا قلت سأعلمك :

قال وهو يجذب يده من يدها برفق :

ـ عفوًا .. لن أستطيع ذلك .

ارتسمت ملامح الغضب على وجهها للحظة .. لكنها سرعان ما تغلبت عليها سريعًا لتستبدل بها ابتسامة مصطنعة .. وهى تعود لتجلس بجواره قائلة :

ـ حسن .. كما تريد .

ووضعت يديها على كتفه وهى تهمس له قائلة :

ـ سأدعوك إلى الشراب اليوم .. ماذا تشرب ؟

وأسندت ذقنها إلى يديها فوق كتفه وهى تستطرد قائلة :

ـ على فكرة .. يمكنك أن تشرب هنا أية مشروبات أخرى .. غير عصير الفواكه لو أحببت .. مشروبات روحية مثلاً .

قال لها وقد تضرج وجهه بالاحمرار، وتقاطرت حبات العرق على جبينه من حرارة أنفاسها التى أصبحت قريبة من وجهه :

ـ أشكرك .. لا أريد أن أشرب شيئًا .

قالت له بدلال :

ـ حتى هذا الطلب البسيط تصر على رفضه .

قال وهو يخرج منديله ليمسح عرقه :

ـ يمكننى أن أدعوك أنا .. لو أردت .

ابتسمت وهى تهز كتفيها قائلة :

ـ لا مانع لدى .. مادمت مصرًا على ذلك .

وفى تلك اللحظة حضر أحد الشبان ليدعوها إلى الرقص .. فاستأذنت منه قائلة :

ـ معذرة .. مادمت لاتريد أن ترقص معى .. سأراقص (كلارك) .. ثم أعود إليك .

قال لها وهو يخفى استياءه ..

ـ تفضلى .

راقبها وهى ترقص .. كانت مفعمة بالحيوية .. والجرأة .. والانطلاق ، بشكل لم يعهده فى أى فتاة رآها أو عرفها من قبل .

وكان هذا هو رأيه فيها كلما وقعت عيناه عليها .

إنها طراز مختلف تمامًا عن (ميرفت) .

(ميرفت) .. الرومانسية .. الهادئة .. المستكينة .. التى يخفى هدوؤها ورقتها مشاعر عاطفية هادرة .

لكنها محكومة بتقاليد ريفية موروثة .. أحيانًا كانت تضطر لمخالفة هذه التقاليد من أجل حبها له .. لكنها لاتسمح لها بالانطلاق بلا حدود وبمثل هذه الجرأة .

كما أن مشاعرها الهادرة تصب فى النهاية فى مجرى واحد .. ولا تندفع فى مسارات متعددة .

إنه يحب (ميرفت) .. لكن لايستطيع أن ينكر أنه منبهر ومأخوذ بـ (نورا) برغم إنكاره لأسلوبها .

انتهت (نورا) من مراقصة الشاب الذى دعاها إلى مراقصته .. وهمّت بالعودة إلى المائدة التى يجلس إليها (عماد) .. لكن شابًا آخر استوقفها وطلب منها أن تشاركه الرقص ، فاستجابت له على الفور .. وعادت إلى حلبة الرقص مرة أخرى .

بينما أحس (عماد) بالضيق .. وبدا متوترًا فى جلسته .

وقد لاحظت (نورا) ذلك .. إذ كانت تراقبه وهى ترقص مع زميلها .

ومالبث أن هب واقفًا ليغادر المائدة متجهًا نحو باب المرقص .

فتوقفت (نورا) عن الرقص .. وهى تناديه قائلة :

ـ (عماد) .. (عماد) .. انتظر .

لكنه لم يجبها .. واصل طريقه نحو الباب حتى غادر المكان .

أسرعت (نورا) خلفه وهى مستمرة فى ندائه ..

فتوقف دون أن يستدير لها .

ومالبث أن لحقت به لتنظر إليه قائلة :

ـ لماذا انصرفت ؟

ـ يتعين علىَّ أن أعود لاستكمال دراساتى وأبحاثى .

ـ هل هذا هو فقط الذى جعلك تنصرف فجأة هكذا ؟

قال لها بضيق :

ـ نعم .

نظرت إليه قائلة :

ـ كان من الممكن أن تنبهنى لذلك دون أن تنصرف فجأة هكذا .

ـ لقد كنت مشغولة بالرقص .

قالت دون أن ترفع عينيها عنه :

ـ هل هذا هو ما ضايقك ؟

قال وكأنه يستنكر سؤالها :

ـ ولِمَ يضايقنى ؟

قالت وهى ترمقه بنظرات فاحصة :

ـ ربما لأنك لم تكن تحب أن ترانى أرقص مع أشخاص آخرين .. إنك شرقى .. أليست هذه هى الطريقة التى تحكم تصرفات الرجل الشرقى ؟

- أنت حرة فى تصرفاتك .

ابتسمت له قائلة :

- ما رأيك لو ذهبنا إلى مكان آخر ؟

- فى الحقيقة إن الوقت متأخر .. وأنا أريد أن أعود إلى مركز الأبحاث .. فأمامى ساعتان لمراجعة أحد أجزاء البحث الذى أعده .. وبعدها يجب أن أنام لممارسة عملى فى ساعة مبكرة .

ضحكت قائلة :

- حسن .. سأوصلك بسيارتى .

وفى الطريق سألته :

- هل سأراك غدًا ؟

حاول أن يعتذر قائلاً :

- فى الحقيقة .. لا أعرف .. إذا كانت الظروف ستسمح بذلك .

قالت له مبتسمة :

- اطمئن .. سنذهب إلى مكان آخر أكثر هدوءًا .. بعيدًا عن ضجيج الديسكو .

التفت إليها قائلاً وفى عينيه نظرة تساؤل :

- لماذا تريديننا أن نخرج معًا ؟ أعنى .. لماذا أنا بالذات ؟

حاصرته بابتسامتها الخلابة وعينيها الجريئتين قائلة :

- هل أقول لك عن السبب دون أن تزعجك صراحتى .. أو تنظر إلى بالنظرة التقليدية التى اعتاد أن ينظر بها الرجل الشرقى للفتاة التى تعبر عن نفسها بصراحة ؟

قال لها مرتبكًا وهو يحاول أن يتحاشى نظراتها إليه :

- نعم .. أعدك بذلك .

- لأننى أميل إليك !

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- تميلين إلى ؟

- نعم .. منذ الوهلة الأولى التى وقعت فيها عيناى عليك .

تراجع فى مقعده لائذًا بالصمت .

بينما ابتسمت (نورا) قائلة :

- ألم أقل لك ؟ إن الأمر يبدو غريبًا بالنسبة لك .. حيث اعتاد الرجل فى المجتمعات الشرقية أن يبدأ هو الخطوة الأولى .

- فى الحقيقة .. لقد فاجأتنى .

- على أية حال إن كل ما قلته هو أننى أميل إليك فقط .. ولم أقل إننى أحبك .. أو أن مشاعرى نحوك قد وصلت إلى درجة مزعجة من التوهج ..

وتوقفت بسيارتها أمام باب المركز ، وهى تلتفت إليه قائلة :

- غدًا نلتقى هنا .. سأحضر إليك فى الساعة السابعة مساء .

وغادر السيارة دون أن يعقب بشىء .. فى حين انصرفت الفتاة دون أن تنظر خلفها .

وقد ظل واقفًا فى مكانه يتابع انصراف السيارة قبل أن يتوجه إلى حجرته .

* * *



١٣ - لك وحدك ..

تطلعت إليه بعينيها الجريئتين اللتين تمتزج فيهما الأنوثة الصارخة بالمكر قائلة :

- أظن أن المكان هنا أكثر هدوءًا وشاعرية من المكان الذى ذهبنا إليه من قبل .

قال لها وهو يتطلع إلى الأحواض الضخمة التى تحتوى على أسماك الزينة على مقربة منهما :

- بالطبع .. إن المكان هنا جميل للغاية .

قالت وهى ترتكز بمرفقيها على حافة المائدة التى جلسا إليها :

- هل فكرت فى الكلام الذى قلته لك أمس ..

قال لها متحرجًا :

- فى الحقيقة لقد انشغلت بالبحث حتى استغرق كل تفكيرى .

قالت له بنبرة غاضبة :

- كلما أتحدث إليك فى أمر تحدثنى عن البحث والدراسة .. وكأنه لايوجد باحثون أو دارسون سواك .

حاول أن يعتذر قائلاً :

- أنا آسف .. ولكن ...

لكنها قاطعته وهى تستطرد فى حديثها قائلة :

- أتريد أن تخبرنى بأننى لا أشغل حيزًا ولو بسيطًا من تفكيرك ؟ أم هو نوع من التظاهر بذلك من جانبك ؟

- لا يا (نورا) .. أنا لا أقصد ذلك .. ولكن ....

قاطعته مرة أخرى وهى تنظر إلى (الدبلة) فى إصبعه قائلة :

- ولكن .. ماذا ؟ إنك مرتبط .. أليس كذلك ؟

- بلى ..

قالت له بنبرة أكثر هدوءًا ..

ـ هل تحبها ؟

ـ نعم .

ـ هل تمت الخطبة بينكما منذ فترة طويلة ؟

ـ منذ تسعة أشهر تقريبًا .. لكننا نعرف بعضنا منذ الطفولة .

قالت وهى تحاول إخفاء انفعالاتها :

ـ ولماذا لم تتزوجا وتحضرها معك إلى هنا ؟

أطلق (عماد) زفرة قصيرة قائلاً :

ـ لأن الظروف لم تسمح بذلك .

ـ وبالطبع تنويان الزواج بعد أن تنهى دراستك هنا وتجد الوظيفة المناسبة .

ـ نعم .

قالت وهى تدق بأصابعها على المائدة بعصبية :

ـ ولماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟

نظر (عماد) إلى دبلة الخطبة فى أصبعه ثم إليها قائلاً :

ـ كنت أظن أنك تفهمين .

ـ على أية حال أنا لم أقل إننى أحبك .. بل قلت إننى أميل إليك فقط .

ابتسم لها قائلاً :

ـ وأنا أحترم صراحتك .. ويسعدنى أن نكون أصدقاء .

قالت وهى تخفى توترها :

ـ بالطبع .. بالطبع .

وتطلعت إليه قائلة لنفسها :

ـ أصدقاء ؟ أنت لا تعرفنى جيدًا .. لقد أحببتك .. وهذا يعنى أنه لابد أن تكون لى .. وليس لأى أحد سواى .. مهما كان .

* * *

وقفت (ميرفت) تنشر الغسيل فى شرفة منزلها ، حينما

لمحت (البوسطجى) وهو يقترب من المنزل بدراجته .

فتركت الغسيل .. واندفعت تغادر المنزل متجهة إليه .. وفى عينيها لهفة وتساؤل .

ابتسم (البوسطجى) حينما رآها مقبلة عليه .. قائلاً :

ـ اهلاً يا آنسة (ميرفت) .. طبعًا ستسألينني إذا ما كنت قد استلمت خطابًا لك أم لا ؟

كلما جئت إلى هنا تسألينني هذا السؤال .. وفى كل مرة أجيبك بكلمة واحدة وهى (لا) .. لم يرد إليك خطاب .. سواء من الداخل أو الخارج .

نكست رأسها وقد ارتسمت سمة من الحزن على وجهها قائلة :

ـ أشكرك على أية حال يا عم (محمود) .

لكنه ابتسم وهو يتناول خطابًا من حقيبته قائلاً :

ـ حسن يا سيدتى .. لاداعى للحزن .. هذه المرة سأقول لك نعم ..

لقد جاء لك خطاب من الخارج .. من أمريكا .

وقدمه لها قائلاً :

ـ ها هو ذا ..

تهلل وجهها بالفرحة وهى تمد يدها لتناول الخطاب منه بفرحة واشتياق .

لكنه جذبه بعيدًا عن يدها وهو يداعبها قائلاً :

ـ كلا .. لن تأخذيه قبل أن أحصل على الحلاوة .

قالت وهى تتطلع إلى الخطاب فى يده :

ـ سأعطيك ما تريده .. لكن من فضلك دعنى آخذ الخطاب الآن .

ابتسم وهو يقدمه لها قائلاً :

ـ ها هو ذا .. وحلاوتى قد أخذتها .. تكفينى هذه الفرحة والابتسامة الجميلة التى أراها على وجهك الصبوح .

تناولت الخطاب من يده وهى تركض عائدة فى اتجاه المنزل ، ولم تنتظر حتى تصل إلى باب المنزل .. إذا قامت بفض الخطاب قبل أن تدركه .

وكادت أن تصطدم بإحدى الموائد وهى تندفع إلى الداخل .. وقد نادتها أمها حينما لمحتها قائلة :

- (ميرفت) .. أين كنت يا بنيتى ؟ هل انتهيت من نشر الغسيل ؟

- حالاً يا أمى .. سأنتهى منه حالاً .

أغلقت الباب خلفها وهى تقرأ الخطاب الذى أرسله إليها (عماد) .

« حبيبتى (ميرفت) .. أرسل إليك بخالص تحياتى وأشواقى متمنيًا لك أن تكونى فى أتم صحة وأحسن حال .. وبعد .

حبيبتى الغالية .. آسف لتأخرى عليك فى إرسال الخطابات .. فهذا هو ثالث خطاب أرسله إليك منذ سفرى الذى قارب عامًا كاملاً .. ولكن لو تعرفين مدى صعوبة الظروف التى أواجهها للتوفيق بين العمل والدراسة .. وأننى لا أحصل إلا على ساعات قليلة للغاية للراحة ؛ لعذرتنى .

أحزننى للغاية نبأ وفاة جدى رحمه الله .. الذى أخبرتنى به فى خطابك السابق .

وما زاد من حزنى هو أنه قد مات دون أن يمنحنى الفرصة لكى أغير فكرته السيئة عنى .. وأعوضه عما سببته له من حزن وألم . ولا أدرى .. إذا ما كان قد سامحنى قبل وفاته أم لا ؟ أرجو أن يكون قد سامحنى .. لأننى بالفعل لم أقصد أن أسبب له أى إيلام ، أو أسىء له بتصرفى الذى لم أجد وسيلة سواه .. ولأننى أحببته كثيرًا .. ومازلت أحمل له فى قلبى كل الحب والعرفان .. ولولا الظروف التى تضطرنى لعدم السفر فى الفترة الحالية .. لحضرت لزيارة قبره وقراءة الفاتحة على روحه .

حبيبتى (ميرفت) .. إذا لم يكن جدى قد سامحنى .. فأنت قد سامحتنى ، أليس كذلك ؟ لقد قلت لى هذا فى خطابك السابق .. ولكن أريد أن أشعر بأنك قلتها من قلبك .

(ميرفت) .. إننى أعمل بكل الجد والإخلاص .. وكأننى فى صراع مع الزمن للحصول على الدكتوراه .. والحصول على وظيفة لائقة فى أمريكا .

وهم لايمنحون هنا هذا النوع من الوظائف .. كما لايمنحون جنسيتهم إلا لمن يتوسمون فيه القدرة على الخلق والإبداع .. ويرون أنه يمكن أن ينضم لصفوف العلماء المتميزين .. وهذا ما أنوى أن أثبته لهم . وقتها سأحضر لنتزوج ونعود معًا إلى هناك .. ونعوض سنوات الفقر والفراق .. سنعود وأنت زوجة الدكتور (عماد) .. أحد العلماء المرموقين فى الولايات المتحدة .. ستكونين فخورًا بى بقدر سعادتى لوجودك بجانبى .. ولن أسمح لأى شىء أن يباعد بيننا مرة أخرى مهما حدث .. وبالنسبة لوالدتك سنحضرها معنا .. لتلقى أفضل رعاية وتحصل على أحسن علاج .

لاتأسى على الماضى .. واحلمى معى دائمًا بالمستقبل ..

فالمستقبل لنا يا (ميرفت) .. وحبنا سيظل مصباحًا يضىء لنا الطريق .. ويرشد كلاً منا إلى الآخر مهما بعدت المسافات .

ادعى لى يا (ميرفت) .. واحتفظى لى بحبك دائمًا .. كما أحتفظ بحبى لك فى قلبى أتحدى به الصعاب .. وأستمد منه الأمل ! حبيبك (عماد) » .

أغمضت عينيها وهى تحتضن الخطاب .. قائلة لنفسها فى سعادة :

ـ أخيرًا .. أخيرًا يا (عماد) .. وصلنى منك خطاب .. كنت أخشى أن تكون قد نسيتنى .

تطلب منى أن أسامحك .. وكيف يمكننى ألا أسامحك ؟ إن من يحب لابد أن يسامح .. وأنا أحبك بكل جوارحى .

يجب أن تعرف أننى سأنتظرك .. لأننى لا أستطيع أن أكون لسواك .

سواء حصلت على الدكتوراه أو أصبحت من

العلماء ، أو عدت خالى الوفاض .. فما يعنينى هو أنت .. أنت وحدك دون اللقب الذى ستحصل عليه .. إن سعادتى أن أكون معك .. لكنك تأبى إلا أن تحرمنى من هذه السعادة .

على أية حال ، إننى أقدر دوافعك وظروفك .. لكن لو تعلم كم أفتقدك ، وكم أتألم لفراقك .. لأشفقت علىّ .. ولما حرمتنى منك .. مهما كانت الدوافع والأسباب .

* * *



١٤ ـ لا تخذلنى ..

لم تشعر (ميرفت) وهى فى هذه الحالة من الشرود والهيام ، بدخول أمها عليها الحجرة بمقعدها المتحرك .. حيث تطلعت إليها بوجه جامد قائلة وهى تنظر إلى الرسالة التى تحتضنها بين ذراعيها :

ـ هل هذا الخطاب من (عماد) ؟

تنبهت (ميرفت) إلى وجودها قائلة :

ـ نعم يا أمى .

ـ ألم يحدد لك موعدًا لعودته ؟

ـ كلا .. إنه مازال يعد نفسه للدكتوراه .. ويبدو أنه يمر بصعاب شديدة ما بين العمل والدراسة فى (أمريكا) .

قالت الأم بغضب :

- أنا لا يعنينى ذلك .. لقد مرت سنة تقريبًا على خطبتكما دون أن نعرف ما الذى ينوى أن يفعله معك .

نظرت الفتاة إلى أمها باستغراب مشوب بالقلق قائلة :

- لا أفهم .. ماذا تقصدين يا أمى ؟

- ما أقصده أنت تعرفينه جيدًا .. يجب أن يحدد موقفه بشأن زواجه منك .

- أنت تعرفين موقفه جيدًا .. إننا سنتزوج بعد أن ينتهى من الحصول على الدكتوراه .

تنهدت الأم قائلة :

- لا أظن أنه سيفعل ذلك يا بنيتى .

نظرت إليها بانزعاج قائلة :

- ماذا تعنين بذلك يا أمى ؟ أنا و(عماد) مخطوبان ..

ولابد أننا سنتزوج بعد الانتهاء من حصوله على الدكتوراه .. هو بنفسه أخبرنى بذلك فى الخطاب .

حتى إنه أبدى استعدادًا لكى نصحبك معنا .. لكى تلقى عناية ورعاية طبية أفضل فى (أمريكا) .

قالت الأم بضيق :

- انا لست قلقة على نفسى يا (ميرفت) .. بالنسبة لى .. فإننى لن أغادر هذا المكان .. وأنا أعرف كيف أدبر أمورى جيدًا .. فالكل هنا أهلى .. لذا لا داعى لأن يشغل نفسه بهذا الأمر . أنا قلقة عليك أنت يا بنيتى .. إن هذا الشاب أنانى ولا يهمه سوى نفسه وتحقيق ذاته فقط . إنه لم يبد حزنًا كبيرًا لوفاة أبيه .. بل كان مشغولاً فقط بكيفية مواصلة دراسته ، وتحقيق طموحاته دون أن يذرف عليه دمعة واحدة .. واضطر جده لمشاركة شخص آخر فى محله ، ثم

بيعه فى النهاية من أجل الإنفاق عليه .. وفى النهاية خدعه واستولى على المبلغ الذى قدمه له للإسهام فى جهازك وزواجه منك .. ليهرب به إلى أمريكا سعيًا وراء أهدافه ومستقبله العلمى .

وعندما مات الرجل المسكين كمدًا وحزنًا لم يفكر حتى فى أن يأتى لتشيع جنازته . إن شخصًا كهذا لا أستطيع أن أطمئن إليه أو أثق به .. فهو لا يعنيه أى شخص آخر سوى نفسه .. ولا يمكن له أن يعرف المعنى الحقيقى للحب كما تتصورينه .

قالت لها (ميرفت) وهى مضطربة :

ـ لا يا أمى ، أنت لا تعرفين (عماد) كما أعرفه .. إن (عماد) ..

قاطعتها أمها قائلة :

ـ أنت ترينه بعين العاطفة يا بنيتى .. وأنا أراه بعين الواقع .

ـ لقد كان رأيك فيه غير ذلك يا أمى .

ـ وأنت أيضًا كان رأيك فيه خاصة بعد سفره مباشرة دون أن يخبرك بشىء غير ذلك يا بنيتى .

ـ كنت غاضبة .. ومصدومة وقتها .

ـ ثم ما لبثت أن عدت مرة أخرى كعادتك معه دائمًا للوقوع تحت تأثير عواطفك .. تمامًا كما تفعلين وأنت طفلة .. حينما كان يضربك ويستولى على أشيائك ..

فتغضبين منه وتصرين على خصامه .. ثم لا تلبثين أن تذهبى أنت إليه لمصالحته .

ـ لكنى لم أعد طفلة يا أمى .. وأنا واثقة من مشاعر (عماد) نحوى .

نظرت أمها إليها قائلة :

ـ هل أنت واثقة منها حقًا ؟

تهالكت (ميرفت) فوق فراشها ، وقد بدت فى عينيها نظرة شرود وهى تستند إلى حافة الفراش قائلة :

- لا أستطيع أن أخفى عنك الحقيقة يا أمى .. أحيانًا أشعر بهذه الثقة وأحيانًا لا أشعر بها مطلقًا .. شىء واحد أثق به ثقة مطلقة هى مشاعرى أنا نحوه .

قالت الأم بحزن :

- وهذا ما أخشاه عليك يا (ميرفت) .

نظرت إليها (ميرفت) وفى عينيها نظرة تساؤل قائلة :

- أتعنين أن مشاعرى يمكن أن تخدعنى ؟

- أنت عاطفية أكثر من اللازم .. ولا أريد لك أن تربطى مصيرك بمصير شخص واحد .. خاصة وأن هذا الشخص غير واضح أو محدد فى علاقته بك .

- (عماد) .. ليس أى شخص يا أمى .

- أسمعينى جيدًا يا بنيتى .. أنت جميلة .. وفى أحلى سنوات عمرك وكثيرون يريدون الاقتران بك .. وهم جادون فى ذلك .. وبعضهم أفضل من (عماد) .

قالت (ميرفت) وقد بدا على وجهها أن مجرد الفكرة قد أزعجتها :

- لا يا أمى .. لا .. لا يمكن ان أرتبط بشخص آخر غير (عماد) .

- وكيف ترتبطين به ؟ بدبلة فى إصبعك منذ عام .. وماذا بعد ذلك ؟ متى يعود إليك ؟ ومتى يقترن بك ؟ وما مصيرك معه ؟ لا شىء واضحًا بهذا الشان .. ولا التزامًا صريحًا من جانبه .

- لقد وعدنى أننا سنتزوج بعد حصوله على الدكتوراه والتحاقه بوظيفة .

ـ ومتى يتم ذلك ؟ مجرد وعود .. لانعرف متى ستتحقق أو ما إذا كانت ستتحقق بالفعل .

ـ لماذا غيرت رأيك بشأنه يا أمى ؟

ـ فى البداية حاولت أن أهدئ مخاوفك .. وصدمتك لرحيله ، وأن أطيب خاطر الرجل المسكين الذى أخذ منه النقود ورحل .. كما حاولت أن أقنع نفسى بأنه اضطر لذلك سعيًا وراء مستقبله .. لكن فيما بعد تبين لى أن هذا الشاب يراوغ .. خاصة فى خطابيه الأخيرين اللذين لم يحدد من خلالهما أى التزام صريح تجاهك .. بغض النظر عن كلمات الحب المعسولة .

ـ إننى سأنتظره يا أمى .. إذا لم تكن ثقتى كاملة فى مشاعره فإننى واثقة من مشاعرى نحوه .. وأعرف أننى لا أستطيع أن أحب أحدًا سواه .

ـ أتمنى أن أكون مخطئة فى تقديرى .. على أية حال أرسلى له خطابًا يا (ميرفت) .. وطالبيه بالتزام محدد تجاهك .

يجب أن يحدد متى ينتهى من هذه الدكتوراه .. ومتى يكون مستعدًا للزواج منك .. ولا بد أن يكون ذلك وفقًا لمواعيد محددة .. تعرفينها .. وأعرفها .. ويعرفها كل أهل البلدة هنا .

غادرت الأم حجرة ابنتها .. فى حين تناولت هى صورة (لعماد) تحتفظ بها معها .. وأخذت تتأمل الصورة بعينين تفيضان حبًا قائلة :

ـ ترى .. متى تجمعنا الأيام مرة أخرى يا (عماد)؟ وهل ستضمنى إليك بعد طول انتظار لتحمينى من مخاوفى ، ومن غدر السنين أم ستتخلى عنى فى النهاية ؟

وتعلقت عيناها بالسماء ، وكأنها تبحث لديها عن إجابة .

* * *

[تم الجزء الأول بحمد الله]



السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



أ. شريف شوقى

سأنتظرك دائما

عاهدته على الحب منذ الصغر .. لكن القدر باعد بينهما فرحل (عماد) سعيًا وراء طموحاته العلمية ، وبقيت (ميرفت) فى انتظار عودته .. وقد ظل تساؤل يلح على عقلها ومشاعرها .. ماذا بعد الانتظار ؟

90

الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

